

الأحوال السياسية في عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر 300-350هـ/912-961م

دراسة سياسته الداخلية وأثر توازن القوى في علاقاته الخارجية

فتحي يوسف الشواورة و محمد صقر الدوسري

قسم الدراسات الاجتماعية، كلية الآداب، جامعة الملك فيصل
الأحساء، المملكة العربية السعودية

الملخص

تناول هذا البحث سياسة الخليفة عبد الرحمن الناصر (300-350هـ/912-961م) الداخلية. ولقطة الدراسات التفصيلية عن هذا الموضوع، حيث إن ما كتب في هذا الموضوع عن شخصية الخليفة عبد الرحمن الناصر وعهده كان عاماً، وكان في معظم الأحيان بشكل مختصر، فقد تناولت الدراسة سياسة الخليفة عبد الرحمن الناصر الداخلية والخارجية بشكل أكثر تفصيلاً، مع دراسة أثر توازن القوى في العلاقات الخارجية للخليفة عبد الرحمن الناصر خلال فترة حكمه في الأندلس (300-350هـ/912-961م).

وأظهرت الدراسة أن الخليفة الناصر كان من أعظم حكام الأندلس الإسلامية عزماً وعزيمة ومنهجاً، وأنه انتهج طريقاً وسطاً بين الترهيب والترغيب في تعامله مع الحركات والفئات السياسية والثورية المناوئة للدولة، مما أدى إلى القضاء على الثورات المعادية ووفر فرصة من الأمن والهدوء، ومن ثم قيام حركات العمران والبناء في قرطبة والزهاء.

الكلمات المفتاحية: الأمويون، الأندلس، العباسيون، عبد الرحمن الناصر، قرطبة.

المقدمة

تم تقسيم هذا البحث إلى الموضوعات التالية:

تناول الجزء الأول من البحث التعريف بالخليفة عبد الرحمن الناصر؛ اسمه، نسبه، نشأته حتى وصوله للحكم وإعلانه الخلافة، أما الجزء الثاني فتناول سياسة الناصر العمرانية في الأندلس ودوره في هذا الجانب المهم.

وبحث الجزء الثالث من هذه الدراسة في سياسته تجاه الحركات المناوئة في عصره، مما يعطي فكرة كاملة عن قوة هذا الخليفة ودوره في توطيد أركان الحكم الأموي في الأندلس بعد أن كان معرضاً للزلازل والمحن. أما الجزء الرابع من الدراسة فقد تناول علاقاته الدبلوماسية مع الدول الإسلامية والأوروبية المعاصرة له، في حين عالج الجزء الأخير من الدراسة بعض الجوانب الإدارية وخاصة الحجابية، وأخيراً الخاتمة والنتائج، آملاً أن يكون البحث مقدمة مفيدة لدراسة أكبر في هذا الموضوع.

أولاً: التعريف بعبد الرحمن الناصر⁽¹⁾:

أبو المطرف عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية الملقب بالداخل بن هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم الأموي. ولد في قرطبة⁽²⁾

(1) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج6، ص360. وابن الأبار، الحلة السيرة، ج1، ص197. وابن عذاري المراكشي، البيان المغرب، ج2، ص156-158. وابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر، ج7، ص121. والزركلي، الأعلام، ج3، ص60، ص324.

(2) قرطبة: قاعدة الأندلس وأم مدنها ومستقر خلافة الأمويين بها، وأثارهم بها ظاهرة، وفضائل قرطبة ومناقب خلفائها أشهر من أن

سنة 277هـ/890م، لأم ولد اسمها مزنة، مات أبوه وعمره عشرون يوماً فعاش يتيماً منذ حداثة سنه ونعومة أظفاره فأثر ذلك في نشأته كما سيرد تالياً.

نشأ في كنف جده عبد الله الذي كان يحبه حباً كثيراً وقد أسكنه في مسكنه الخاص وكان يحظيه من دون بنيه ويرشحه للحكم من بعده ويصحبه معه في الأعياد والمناسبات ويأمر بالسلام عليه فتعلقت آمال الناس به ولم يشك بمصير الأمر إليه⁽¹⁾.

كان أبوه محمد قد قتل على يد أخيه مطرف بن عبد الله بأمر من أبيه، ولأنه كان يتيماً فقد كفله جده الذي يبدو أنه كان يعاني من وخزة ضمير - كما يرى المستشرق دوزي⁽²⁾ - وعقدة ذنب لهذا الفعل الشنيع. ولذلك فقد أحاط هذا الطفل الصغير بكل عطفه، واختاره منذ زمن بعيد ليكون خليفة من بعده. يصفه ابن عبد ربه الأندلسي (ت328هـ/939م) ب: (الملك الأزهر والأسد الغضنفر سيد الخلفاء وأنجب النجباء)⁽³⁾.

أما الشكل والمظهر فقد (كان أبيض، مشرباً بالحمرة، حسن الجسم، جميلاً بهياً)⁽⁴⁾. وفيما يتعلق بصفاته الخلقية فقد كان الناصر مقتصداً في أموره من مطعم وملبس شديد التواضع يظهر عليه البر والخشوع⁽⁵⁾. وكان متين الدين حسن الخلق كثير الدعابة⁽⁶⁾. يلخص أحد الباحثين صفاته بقوله: (كان فيه اجتناب المحارم، علو الهمة، نزاهة النفس، شجاعة القلب، ربط الجأش، نفاذ العزيمة، فرط السخاء، سعة البذل، وتمام الخصال، يهين المال لاقتناء الرجال)⁽⁷⁾.

يشير ابن كثير إلى أن عبد الرحمن الناصر كان شافعي المذهب⁽⁸⁾. كما كان شاعراً ومن شعره:

يا مهجة العشاق ما أوجعك ويا أسير الحب ما أخضعك

ويا رسول العين من لحظها بالرد والتبليغ ما أسرعك⁽⁹⁾

اهتم الناصر بالعلم وكان معروفاً بتشجيعه والترويج له حتى أصبحت قرطبة في عهده مقصد الأدباء وباعة الكتب⁽¹⁰⁾. وكان مطلع حكمه صعباً، فالدولة كانت تعاني من الثورات والفتن والاضطرابات والتمزق والتشرذم. وقد عبر المؤرخون عن هذه الحالة، حتى قال ابن الأبار: (كثر العصاة ما تعجز عن

تذكر. الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ص456.

(1) لسان الدين بن الخطيب، تاريخ أسبانيا الإسلامية، ص29. وشلبي، موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، ج4، ص103.

(2) دوزي، المسلمون في الأندلس، ص218. العبادي، دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، ص167.

(3) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج2، ص307.

(4) ابن كثير، البداية والنهاية، ج11، ص238.

(5) لسان الدين بن الخطيب، تاريخ أسبانيا الإسلامية، ص29.

(6) الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ص95.

(7) الدوري، تاريخ العرب المسلمين وحضارتهم في الأندلس، ص97.

(8) ابن كثير، البداية والنهاية، ج11، ص238.

(9) لسان الدين بن الخطيب، تاريخ أسبانيا الإسلامية، ص26. والمقري، نفع الطيب، ص380.

(10) انظر: زيدان، عبد الرحمن الناصر قصة تاريخية، ص53.

تصوره الأوهام وتكل من تحبيره الأقلام)⁽¹⁾ وفي هذا دلالة على كثرة الثورات. وقال ابن عذاري: (بويج والأندلس جمرة تحترق ونار تضطرم شقاً ونفاقاً..)⁽²⁾، وقال: (ولما تولى الناصر غزا غزوات.. فاعتزركن الدين واحتمى ذمار الإسلام وقام الجهاد على ساق وخمدت نار الخلاف والشقاق)⁽³⁾ ويعبر لسان الدين بن الخطيب عن الحال بقوله: (تصيرت له الخلافة وقد تحيف النكث أطرافها واقتسمها الثوار وكلب عليها الأشرار ولم يبق منها إلا الاسم فوق ظاهر منبر قرطبة والقليل من غيرها)⁽⁴⁾. ويحتوي كتاب أعمال الأعلام على أسماء الثوار وأماكنهم ممن تغلب عليهم الناصر في مطلع حكمه⁽⁵⁾ كما سيرد تالياً. أما المقري فيعبر عن سوء حالة البلاد عندما تولى عبد الرحمن الناصر الحكم، ويقول: (تولى والبلاد مضطربة مضطربة بنيران المتغلبين)⁽⁶⁾.

إن هذه الصورة التي وردت في المصادر السابقة تعبر تعبيراً وافياً عن حالة التمزق والضعف التي بلغتها الدولة الأموية في الأندلس عند مجيء الناصر إلى الحكم. ولكن عبد الرحمن الناصر كان على قدر أهل العزم فتحمل المسؤولية بقوة واقتدار، ويرى الباحث أن هذا الوضع السيئ للدولة، وما اتصف به الناصر من قوة هو الذي جعل أعمامه ومن هم أحق منه أن يتنازلوا عن الحكم ويبايعوه حاكماً على البلاد. وهذا ما أشار إليه ابن الأثير بقوله: (اتفق أعمامه عليه ولم يختلفوا عليه لأنه كان شاباً مهاباً)⁽⁷⁾.

إن تفوق الناصر على خصومه وأعدائه بقوة هو الذي جعل المؤرخ ابن عذاري يُعجب بشخصه ويشبهه بعبد الرحمن الداخل فيقول: "فغزا الغزوات الكثيرة وكان يتشبه بعبد الرحمن الداخل". وقد غير عبد الرحمن لقب الحكم الذي كان يتلقب به حكام بني أمية بالأندلس من قبله، إذ كانوا يتخذون لقب أمير، فغيره وتلقب بلقب أمير المؤمنين⁽⁸⁾.

تورد المصادر التاريخية عدة أسباب دفعته لاتخاذ لقب أمير المؤمنين الناصر سنة 316هـ/928م⁽⁹⁾. السبب الأول: ضعف الخلافة العباسية في بغداد⁽¹⁰⁾. أما السبب الثاني فيعود إلى إعلان الدولة الفاطمية الخلافة⁽¹¹⁾. وتضيف الدراسات الحديثة أسباباً أخرى لذلك أهمها: (اعتقاد عبد الرحمن الناصر بأحقيته

(1) ابن الأبار، الحلة السيرة، ج1، ص199.

(2) ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب، ج2، ص157.

(3) المصدر نفسه، ج2، ص157.

(4) لسان الدين بن الخطيب، تاريخ أسبانيا الإسلامية، ص27.

(5) المصدر السابق، ص27-28.

(6) المقري، نفع الطيب، ص353.

(7) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج8، ص513.

(8) ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب، ج2، ص307.

(9) ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب، ج2، ص157. والزركلي، الأعلام، ج3، ص324.

(10) ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب، ج2، ص157. ولسان الدين بن الخطيب، تاريخ أسبانيا الإسلامية، ص29، والمقري، نفع الطيب، ص353.

(11) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج6، ص360. وابن كثير، البداية والنهاية، ج11، ص238. والدوري، تاريخ العرب المسلمين وحضارتهم في الأندلس، ص179.

بالخلافة لأنه سليل الخلفاء الأمويين وأن كل من تلقب به من غير الأمويين منتحل له ودخيل فيه وغير مستحق له⁽¹⁾.

وثمة باحث آخر يرى أن من الأسباب التي دعت الناصر لإعلان الخلافة: (ضعف مكانة الأمير الأموي في قرطبة قبله، إضافة إلى رغبة الأندلسيين في أن يكون خليفة للمسلمين)⁽²⁾. ويجمل ابن الأبار هذه الأسباب بقوله: (تسمى عبدالرحمن بن محمد بالناصر أمير المؤمنين بعد سنين من خلافته لما ضعف سلطان العباسيين بالمشرق وغلب عليهم الأتراك، وادعت الشيعة ما شاءت بأفريقية وساعدتهم عليه قبائل البربر وأصبح الناس في الآفاق فوضى وكان من قبله من آباءه يدعون بالأمراء)⁽³⁾.

وهنا لابد للباحث من وقفة يتساءل خلالها: لماذا لم تُعلن الخلافة الأموية في الأندلس مبكراً؟

لعل السبب في ذلك هو أن: من سبقه من حكام بني أمية لم يروا في أنفسهم الجرأة والثقة والقوة لكي يقدموا على هذه الخطوة، فالدولة العباسية كانت في أوج قوتها وهي تعتبر نفسها المرجعية والشرعية الإسلامية الأولى، فلما جاء الناصر وجد في نفسه ثقة وجرأة فأعلن الخلافة فالسبب من وجهة نظر الباحث إضافة لما سبق يكمن في قوة شخصية عبد الرحمن بن محمد، كما أن العلماء لم يكونوا يجيزون تعدد الخلفاء المسلمين فقد ذكر الماوردي أن الخلافة موضوعة لخلافة النبي في "حراسة الدين وسياسة الدنيا"، والخليفة على هذا الأساس هو رئيس ديني وديوي له الطاعة التامة على جميع المسلمين في كل أمور دينهم وديناهم⁽⁴⁾.

وعلى هذا الأساس فإن الأمويين في الأندلس قبل الناصر تبنوا هذه النظرية ولم يخرجوا عنها، على الرغم من أن بني أمية في الأندلس قطعوا الدعاء لبني العباس إلا أنهم لم يلقبوا أنفسهم بلقب خليفة، ولكن مع مرور الوقت وخاصة بعد إعلان الفاطميين الخلافة في مصر تساهل العلماء في هذه المسألة وجوزوا تعدد الخلفاء المسلمين.

توفي الخليفة الناصر سنة 350هـ/961م بعد أن قضى خمسين عاماً من الحكم، واجه فيها أصعب الأيام وأحلك الظروف، توفي يوم الأربعاء 2 رمضان 350هـ/961م⁽⁵⁾.

كانت خلافته خمسين سنة وستة أشهر وكان عمره حين حضرته الوفاة ثلاثاً وسبعين عاماً⁽⁶⁾ وكان عدد الفتيان حين وفاته بمدينة الزهراء ثلاثمائة وخمس وسبعين، وعدد النساء بقصره ستة آلاف وسبعمائة وخمسين يجري على الجميع اللحم والخبز والطيور والحيتان وغير ذلك من الضروريات. وبعد وفاته وجد كتاب بخط يده يحصي فيها أيام السعادة والسرور فذكر الأيام التي صفت له من غير تكدير، يوم كذا من شهر كذا من سنة كذا، ولما جمعت له هذه الأيام وعدت كان مجموعها أربعة عشر يوماً فقط من

(1) للمزيد انظر: السامرائي وآخرون، تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، ص162.

(2) العبادي، دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، ص198.

(3) ابن الأبار، الحلة السيرة، ج1، 197 - 198.

(4) للمزيد انظر: الماوردي، الأحكام السلطانية، ص106.

(5) لسان الدين بن الخطيب، تاريخ أسبانيا الإسلامية، ص40.

(6) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج6، ص359. والمفري، نفع الطيب، ص379.

فترة حكمه التي امتدت خمسين عاما وقد علق لسان الدين بن الخطيب على ذلك قائلاً: "وهكذا حال الدنيا لمن اعتبرها وموازينها لمن اختبرها"⁽¹⁾.

ثانياً: سياسته العمرانية

اشتهر عهد الناصر بالرقى والازدهار الداخلي والمنشآت العمرانية العظيمة وأهمها العمارة المدنية ومنها جامع قرطبة، يذكر أبو عبيد البكري عن إنجازات الناصر في ذلك فيقول: (بنى مقصورته المذهبة وكذلك المحراب وما يليه قد أجرى فيه الذهب على الفسيفساء وجعل ثريات المقصورة فضة محصنة، وكان ارتفاع الصومعة اليوم وهي من بناء الناصر ثلاثاً وسبعين ذراعاً إلى أعلى القبة المفتحة التي يستدير فيها المؤذن ورأس هذه القبة تفاح ذهب وفضة وارتفاعها إلى مكان الأذان أربع وخمسون ذراعاً، وطول كل حائط من حياطها على الأرض ثمانية عشر ذراعاً)⁽²⁾. وقد عبر أحد المؤرخين عن روعة هذه الزيادات في جامع قرطبة زمن الناصر بقوله: (زاد في جامع قرطبة وبنى المنار الأعظم وجعل في أعلى ذروته ثلاث رمانات تخطف الأبصار بلمعانها اثنتان منها ذهب وواحدة فضة طوق كل رمانة فيها قنطار من الذهب ودور إحداها ثلاثة أذرع ونصف)⁽³⁾.

ويصف ابن عذاري صومعة جامع قرطبة التي بناها سنة 340هـ/951م بالصومعة العظيمة لشدة روعتها⁽⁴⁾، وقد أجمل الحميري وصف عمارة الناصر في جامع قرطبة بقوله: (ولهذا الجامع قبلة يعجز الواصفون عن وصفها وتتميقها وفيها من الفسيفساء المذهب والبلور مما بعث به صاحب القسطنطينية إلى عبد الرحمن الناصر لدين الله وعلى وجه المحراب سبع قسي - أقواس - قائمة على عمد طول كل قوس أشف من قامة وكل هذه القسي مزججة صنعه القوط وقد أعجزت المسلمين والروم بغريب أعمالها ودقيق وضعها وعلى أعلى الكل كتابان منحوتان بين بحرين من الفسيفساء المذهب في أرض الزجاج اللازوردي وعلى وجه المحراب أنواع كثيرة من التزيين والنقوش، في وجهتي المحراب أربع أعمدة اثنتان أخضران واثنتان لا تقوم بمال، وعلى رأس المحراب خصه رخام قطعة واحدة مسبوكة منمقة بأبداع التتميق من الذهب واللازورد وسائر الألوان ومع يمين المحراب المنبر الذي ليس بمعمور الأرض مثله خشبه أبنوس صنع في سبع سنين، وعن شمال المحراب بيت فيه ذهب وفضة وجسك يوقد فيها الشمع كل ليلة سبع وعشرين من رمضان، وعلى هذا المخزن مصحف يرفعه رجلان لثقله فيه أربع أوراق من مصحف عثمان، ولهذا الجامع عشرون باباً مصفحة بصفائح النحاس.. وللجامع في الجهة الشمالية الصومعة الغربية الصنعة الجليلة الأعمال الرائعة الشكل ارتفاعها بالهواء مائة ذراع منها ثمانون ذراعاً في الموضع الذي يقف عليه المؤذن ومن هنا إلى أعلاها عشرون ذراعاً وعلى أعلى الصومعة ثلاث تفاحات ذهباً اثنتان من فضة وأوراق سوسنية تسع الكبيرة

(1) لسان الدين بن الخطيب، تاريخ أسبانيا الإسلامية، ص40.

(2) البكري، المسالك والممالك، ج2، ص389.

(3) لسان الدين بن الخطيب، تاريخ أسبانيا الإسلامية، ص38. وبروفنسال، الجزء الخاص بالأندلس من الروض المعطار، ص15، 20.

(4) ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب، ج2، ص228-229.

من هذه التفاحات ستين رطلاً من الزيت ويخدم الجامع كله ستون رجلاً⁽¹⁾، إضافة لذلك فقد قام بأعمال عمارة في أحياء قرطبة: يذكر الحميري أن الناصر بنى بناحية فحص البلوط⁽²⁾ قبة واتخذ قراميدها من الفضة وبعضها مغشى بالذهب وجعل سقفها نوعين صفراء فاقعة وبيضاء ناصعة يستلب الأبصار شعاعها⁽³⁾ كما توسع في البناء والعمارة فبنى مدينة الزهراء التي وصفها أحد الجغرافيين بالقول: (الزهراء مدينة غربي قرطبة بناها الناصر عبد الرحمن وامتلات بالقصور التي يعجز الواصفون عن وصفها)⁽⁴⁾.

وقد ساعد الامبراطور البيزنطي في البناء حيث أرسل للناصر من القسطنطينية فسيفساء مذهباً كما أرسل إليه سبعة أقواس قائمة مزججة، وقد أعجزت هذه المدينة الروم بروعتها وعظمتها وذوقها الرفيع ووصفها العظيم⁽⁵⁾، وكانت هذه المدينة قد بنيت على سفح جبل⁽⁶⁾ حيث بوشر بينائها سنة 325هـ/936م⁽⁷⁾. ويبدو أن سبب روعة وعظمة هذه المدينة يكمن فيما تم جلبه إليها من مواد البناء التي ساهمت في إعطائها هذا الرونق، وخاصة المواد التي تم جلبها من الخارج كالقسطنطينية، ومواد أخرى كالرخام جلبت من تونس وقرطاج⁽⁸⁾ وتوسع الناصر في ترميم هذه المدينة وتفنن الصناعات في قصورها ودورها وزخرفتها⁽⁹⁾.

وقد رأى بعض العلماء في بناء هذه المدينة بعض البذخ والإسراف، مما حدا ببعض القضاة وخاصة القاضي منذر بن سعد البلوطي⁽¹⁰⁾ إلى أن يستنكر على الناصر ذلك ويذكره بأن متاع الدنيا زائل⁽¹¹⁾. وتذكر بعض المراجع الحديثة أن معالم مدينة الزهراء لا تزال ماثلة حتى الآن⁽¹²⁾ ويبدو أن الناصر كان يريد أن يجعل من الزهراء مدينة العصر في زمانها فبدأ يُطعمها بالتقاليد الشرقية فسعى لاستقدام المغنيين والمغنيات من المشرق فجلب عدداً من الجوارى والمغنيات من الإسكندرية سنة 344هـ/955م⁽¹³⁾. وهنا يتساءل الباحث بعد هذا العرض: هل يمكن لخليفة وصفته المصادر بأنه شديد التواضع متظاهر

(1) الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ص 456 - 457.

(2) فحص البلوط: بلد في الأندلس، يقع في نواحي قرطبة. الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ص 95.

(3) الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ص 295. وبروفنسال، الجزء الخاص بالأندلس من الروض المعطار، ص 157.

(4) المصدر السابق، ص 457.

(5) المصدر السابق، ص 457.

(6) أبو الفداء، تقويم البلدان، ص 175.

(7) لسان الدين بن الخطيب، تاريخ أسبانيا الإسلامية، ص 38.

(8) المصدر السابق، ص 38.

(9) الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ص 457.

(10) منذر البلوطي: هو القاضي أبو الحكم منذر بن سعيد البلوطي الأندلسي، من نواحي قرطبة، كانت له رحلة لقي فيها جماعة من العلماء في الفقه واللغة. كان متفنتاً في ضروب العلوم، كثير المناقب والخصال الحميدة، مع ثبات جنان وجهارة صوت وحسن ترتيل. له تفسير على الكتاب العزيز. انظر: الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ص 95.

(11) النباهي، تاريخ قضاة الأندلس، ص 69 - 70.

(12) العبادي، دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، ص 204.

(13) سالم، قرطبة حاضرة الخلافة الإسلامية في الأندلس، ص 58.

بالبر والخشوع كما مر آنفاً أن يقوم بهذا المعمار الذي وصل حد البذخ والترف؟ إن الإجابة تكمن في أن متطلبات عصره هي التي دفعته إلى ذلك فالناصر كان أعظم حكام أوروبا آنذاك وبلاده أكثر بلدان أوروبا تقدماً في المجالات العلمية والحضارية، فأراد أن يجعل لدولته هيبة في نفوس القاصي والداني ولعل تزيين المساجد يأتي في إطار البذخ المحمود، وقد احتوت هذه المدن على كثير من الأسواق، يقول ابن الفقيه أن: (قرطبة كانت أيام الناصر مليئةً بالمواضع والدور والأحياء مثل باب العطارين لضرب الدراهم، إضافةً لأماكن الجند ودواوينهم وفيها عيون وآبار طيبة عذبة)⁽¹⁾.

تشير إحدى الدراسات الحديثة إلى أن عدد سكان قرطبة قد بلغ في أزهى عصورها أيام الناصر نحو نصف مليون نسمة وفقاً لما ذكرته بعض الدراسات وقد دفع هذا الرقم الباحث للعثور على معلومة عن عدد سكان قرطبة في الوقت الحاضر، حيث يبلغ عدد سكانها في هذا الوقت حوالي ثلاثمائة وعشرة آلاف⁽²⁾. أما في عهد الناصر فقد بلغ عدد الدور في قرطبة ثلاثة عشر ألفاً ومئة دار وغيرها من القصور⁽³⁾، وهذا يعني بالعملية الحسابية بعد تقسيم عدد السكان على عدد الدور أن كل دار كان يسكنها ثماني وثلاثون فرداً وهذا رقم مبالغ فيه إلا إذا كان المقصود إقليم المدينة ومعها الضواحي البالغ عددها ثماني وعشرين ضاحية⁽⁴⁾ مما يشير إلى أن قرطبة كانت إبان عهد الناصر أكثر سكاناً من اليوم.

أما العمارة الحربية فللناصر في هذا المجال أعمال:

منها تجديد بناء مدينة سالم، وهي مدينة تقع شمال مدريد بنحو مئة وثلاث وخمسين كيلومتراً، وأول من بناها سالم المصمودي، ثم تخربت في عهد الأمير عبدالله جد الناصر بسبب كثرة الفتن، ولما تولى الناصر الحكم أعاد بناءها لجعلها ثغراً حربياً لمواجهة إمارة قشتالة النصرانية الناشئة، وقد أشرف على بنائها مولاه غالب وغيره من قواد الثغور فنقلوا إليها البنائين وبنيت أحسن بناء⁽⁵⁾.

بناء مدينة المرية⁽⁶⁾:

أمر الخليفة الناصر ببناء هذه المدينة سنة 344هـ/955م⁽⁷⁾ واسمها مشتق من وظيفتها، حيث كانت تتخذ مرصداً أو مرأى بحريا لمدينة بجاية القريبة منها ثم أصبحت المدينة قاعدة لإقليمها وأقام فيها الناصر كثيراً من المنشآت المعمارية حتى اتخذت في أيامه طابع المدن وأحاطها بسور منيع وأقام بها القلعة الحصينة

(1) ابن الفقيه، مختصر كتاب البلدان، ص84.

(2) ناجي، دراسات في تاريخ المدن العربية الإسلامية، ص20. والسويدان، الأندلس التاريخ المصور، ص198.

(3) حسن، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، ج2، ص385.

(4) المرجع نفسه، ج2، ص358.

(5) العبادي، دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، ص208. والقاسمي، تاريخ الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، ص44-45.

(6) المرية: مدينة محدثة بالأندلس بناها أمير المؤمنين الناصر لدين الله سنة أربع وأربعين وثلاثمائة. الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ص537-538.

(7) العبادي، دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، ص208.

المعروفة بقلعة خيران نسبة إلى خيران العامري، كما أمر ببناء دار لصناعة السفن فيها⁽¹⁾.

دور صناعة السفن:

بنى الناصر دوراً لصناعة السفن الحربية بالجزيرة الخضراء، وبنى حولها الأسوار⁽²⁾، واهتم بعمارة السواحل والثغور في المناطق الجنوبية بالبلاد لأنها كانت عرضة للغزو⁽³⁾.

لقد كان الناصر شغوفاً بالبناء، فخصص لغاية العمران ثلث أموال جبايته وبنى المصانع والقصور⁽⁴⁾. أما أسباب هذا العمارة المدنية والعسكرية فإن أحد المصادر قد أشار لها بقوله: "كان الخليفة الناصر مهتماً بعمارة الأرض وتخليد الآثار الدالة على قوة الملك وعز السلطان"⁽⁵⁾ حتى إن مؤرخاً معاصراً قد اعتبر الناصر أعظم ملوك العصور الوسطى في هذا المضمار لما تم في عهده من منشآت معمارية عظيمة التصقت بالرقى والازدهار⁽⁶⁾.

ولكن إذا ما قيل إن سبب بناء مدينة كالزهراء⁽⁷⁾ بدقتها وروعيتها وتكاليفها المالية الكبيرة التي بلغت ثلث واردات الدولة بعهدده كانت لتخليد ذكر جاريته الزهراء⁽⁸⁾ فإن الباحث يقف متسائلاً عن صحة ذلك، وماذا لو تم توجيهه وتسخير هذه الأموال للمجهود الحربي في الشمال الأسباني عندها من المؤكد أن الوجود العربي الإسلامي في أسبانيا سيطول أكثر، وكان بالإمكان القضاء على المقاومة الأسبانية في الشمال.

مع أنه بالإمكان النظر للأمر من زاوية أخرى وهي أن هذا الخليفة، موحد الأندلس كان يُعبر عن روح العصر الذي وصل مرحلة النضج في الحضارة العربية الإسلامية، عندها بدأ العرب الأندلسيون يميلون إلى حياة الترف والقلم والصناعة فتركوا السيف والفروسية وكانت النتيجة ما كانت عام 898هـ/1492م. يذكر الدكتور حسن إبراهيم حسن ما نصه: (بلغ عدد الحمامات في قرطبة في القرن الرابع الهجري ثلاثمائة حمام وبلغ عدد مساجدها ثلاثة آلاف مسجد، وقد أولع أهل قرطبة بمقارنتها ببغداد حاضرة العباسيين فقال بعضهم⁽⁹⁾:

دع عنك حضرة بغداد وبهجتها ولا تعظم بلاد الفرس والصين

- (1) القاسمي، تاريخ الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، ص45.
- (2) بروفنسال، الجزء الخاص بالأندلس من الروض المعطار، ص188.
- (3) الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ص74. والعبادي، دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، ص188.
- (4) لسان الدين بن الخطيب، تاريخ أسبانيا الإسلامية، ص38. وسالم، قرطبة حاضرة الخلافة الإسلامية في الأندلس، ص60.
- (5) النباهي، تاريخ قضاة الأندلس، ص69.
- (6) العبّادي، دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، ص204.
- (7) الزهراء: مدينة أندلسية تقع غرب قرطبة بناها عبد الرحمن الناصر بينها وبين قرطبة خمسة أميال. الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ص295.
- (8) انظر: ابن حيان، المقتبس في أخبار بلد الأندلس، ج5، ص437. والمقري، نفع الطيب، ج1، ص245. وابن عذاري المراكشي، البيان المغرب، ج2، ص325.
- (9) حسن، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، ج2، ص385.

فما على الأرض قط مثل قرطبة وما مشى فوقها مثل ابن حمدين

تصف دراسة حديثة قصر الناصر في قرطبة فتقول: كان القصر مكوناً من أربعمئة وثلاثين داراً بينها قصور فخمة وقد غالوا في زخرفتها ونقشوا فيها صوراً من الذهب والفضة وجلبوا إليها الماء في قنوات الرصاص من الجبال البعيدة، وقد وزعت في أحواض الرخام والبرك والبحيرات ينصب فيها الماء من أنابيب الذهب أو الفضة في صور الحيوانات والطيور الجميلة. فكان ملك الناصر في الأندلس في غاية الفخامة ورفع الشأن وهادنه الملوك من سائر الأمم⁽¹⁾.

ثالثاً: سياسته تجاه الحركات المناوئة

أوضاع الأندلس عند وصول الناصر للحكم:

لقد مدتنا المصادر التاريخية بمعلومات وافية عن سوء الحالة التي وصلت إليها الأندلس قبيل حكم الناصر (300 - 350هـ/912 - 961م). يقول ابن عبدربه: (تولى الحكم والبلاد جمرة تحتم نار تضطرم وشقاق ونفاق)⁽²⁾. وذكر لسان الدين بن الخطيب: "ولي الناصر وقد عظم الشقاق والنفاق وارتجت الآفاق وقد تحيف النكث أطرافها واقتسمها الثوار وكلب عليها الأشرار ولم يبق منها إلا الاسم فوق ظاهر منبر قرطبة والقليل من غيرها وساءت الظنون"⁽³⁾ في حين يقول المقرئ: "تولى والبلاد مضطربة بنيران المتخلفين فأطفأ تلك النيران"⁽⁴⁾.

وقد تعددت الثورات التي سبقت عصر الناصر - في عهد جده عبدالله - واستمرت في أيامه، ففي عهد جده ثار عبد الرحمن بن حفصون الذي يوصف بأنه: "كبير الثوار المجاور لقرطبة حيث استولى على معظم البلاد مثل ألبيرة ورية وما إلى ذلك"⁽⁵⁾ وقد اتبع الناصر مع هؤلاء الثوار سياسة تقوم على الترهيب والترغيب⁽⁶⁾.

أما أشهر هذه الثورات التي سبقت عهد الناصر فهي التي كانت في عهد جده الأمير عبدالله؛ حيث (ثار ابن حجاج في أشبيلية)⁽⁷⁾، وثار عبد الرحمن بن مروان الجليقي في أشبيلية، وثار عبد الملك بن لجود في باجة الغرب، وثار ابن بشار في شدونة⁽⁸⁾، وابن الباسر في القلعة المنسوبة إليه، وخير بن شاكر في شدونة،

(1) زيدان، عبد الرحمن الناصر قصة تاريخية، ص29، 40.

(2) ابن عبدربه، العقد الفريد، ج2، ص308.

(3) لسان الدين بن الخطيب، تاريخ أسبانيا الإسلامية، ص29.

(4) المقرئ، نفع الطيب، ص353.

(5) لسان الدين بن الخطيب، تاريخ أسبانيا الإسلامية، ص27.

(6) سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس، ص28. وجوده، تاريخ المغرب والأندلس، ج2، ص150. وحتاملة، الأندلس التاريخ والحضارة والمحنة دراسة شاملة، ص344.

(7) أشبيلية: مدينة بالأندلس جليلة، بينها وبين قرطبة ثمانون ميلاً، وهي مدينة كبيرة عامرة لها أسوار حصينة، غربها نهر كبير. الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ص58 - 59.

(8) كورة شدونة: هي كورة أندلسية متصلة بكورة مورور، نزلها جند فلسطين من العرب، وهي من الكور المجندة، جليلة القدر، كريمة البقعة، عذبة التربة. الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ص339.

وسعيد بن هذيل بحصن المنتلون، وسعيد بن المستنة في باغو، وبنو هاييل في حصون جيان وإسحاق بن عطف بحصن مناشة، وسعيد بن سليمان بن جودي في غرناطة.. ومحمد بن أضحي كبير العرب في ألبيرة⁽¹⁾.. وسليمان بن محمد الشذوني في شرييش، ويحيى التجيني في سرقسطة⁽²⁾، وغيرهم⁽³⁾.

إن ذلك يدل على سوء الحالة التي وصلت إليها البلاد، فالملاحظ أن جميع أطراف الأندلس الإسلامية قد ثارت. ويحق للباحث أن يتساءل: لماذا كل هذه الثورات؟

لقد أجاب على ذلك المؤرخ الكبير المفكر لسان الدين بن الخطيب وعزى سبب هذه الثورات والحركات المناوئة إلى:

أولاً: منعة البلاد وحصانة المعقل وبأس أهلها.

ثانياً: علو الهمم وشموخ الأنوف وقلة الاحتمال للطاعة فالعرب والبربر بالأندلس أشرف يأنف بعضهم من الإذعان لبعض.

ثالثاً: الاستناد عند الضيق للنصارى⁽⁴⁾.

يفهم مما سبق أن هيبة الدولة التي كانت متدنية زمن الأمير عبدالله جد الناصر كانت سبباً في الثورات إضافة لوجود صراع خفي بين طبقة العرب الحاكمة والبربر الذين شعروا بتدني مرتبتهم كمواطنين من الدرجة الثانية في الأندلس، إضافة إلى تغذية الممالك النصرانية لهذا النزاع الإسلامي حتى يتسنى لهم إضعاف المسلمين والانقضاض عليهم لاحقاً مستغلين وعورة سطح جغرافية الأندلس وطبيعتها الجبلية التي زادت من صعوبة إمكانية القضاء على هذه الثورات مما حدا بهم إلى القيام بعدة ثورات كان أهمها.

ثورات (آل حفصون):

وأشهرهم عمر، وهو عمر بن حفص بن جعفر الإسلامي، ظهر وثار سنة 885/272م وهو كبير الثوار بالأندلس قاومه الأمير عبدالله في ببشتر وأكثر وسط البلاد بين رية والخضراء وألبيرة ونواحي قرطبة وبقي ثائراً رغم ما بذله الأمير عبدالله من جهود للقضاء عليه ولكنه لم ينجح⁽⁵⁾.

كان عمر مسلماً ثم ارتد واعتنق الديانة النصرانية في الأندلس⁽⁶⁾ وسبب اعتناقه النصرانية وارتداده عن الإسلام أنه كان يريد أن يجذب إليه الطوائف المستعربة من الأسباب وغيرهم للثورة على الدولة، ولكن

(1) ألبيرة: من كور الأندلس، جليلة القدر، نزلها جند دمشق من العرب الفاتحين، تقع شرق قرطبة. الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ص536.

(2) سرقسطة: في شرق الأندلس وهي المدينة البيضاء، وهي قاعدة من قواعد الأندلس، كبيرة القطر أهلة واسعة الشوارع حسنة الديار والمساكن، وتعرف بالبيضاء، لأن أسوارها القديمة من حجر الرخام الأبيض وهي أطيب البلدان بقعة وأكثرها فواكه، استردها الأسبان من المسلمين سنة 502هـ، بعد حصار دام ستة شهور. الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ص317.

(3) لسان الدين بن الخطيب، تاريخ أسبانيا الإسلامية، ص32.

(4) المصدر السابق، ص36.

(5) المصدر السابق، ص32.

(6) لسان الدين بن الخطيب، تاريخ أسبانيا الإسلامية، ص32.

المسلمين استقبحوا ذلك منه وانفضّ من كان معه منهم⁽¹⁾.

ولما جاء عهد الناصر رأى ابن حفصون أنه لا يستطيع الاستمرار بالثورة والعصيان ضد حاكم قوي فطلب الأمان من الناصر فوافق وكتب له عهداً بالأمان وارتهن عنده ولده عبد الرحمن بن عمر بن حفصون، ولكن عمر عاد ونكث العهد مع الناصر وهذه عادته على حد تعبير ابن الخطيب (كان تارة يستأمن وتارة ينكث)⁽²⁾ عاد عمر بن حفصون للثورة ثانية وبدأ الخليفة حملته الجهادية ضده منذ عام 300هـ/912م. وتحصن عمر بمدينة بيشتر⁽³⁾ ونواحي الوسط من أسبانيا الإسلامية (الأندلس) والتقى معه الخليفة منذ سنة 301هـ/913م وتتبع حصونه وما انحشد إليه من النصرانية وهزمه وبدأ بفتح حصونه معقلاً معقلاً وأحرق مراكبه⁽⁴⁾، وبقي عمر يثور على الدولة ويُهزم ويهدأ طالباً الأمان من الناصر ثم يعاود الثورة حتى التقى معه الناصر قرب غرناطة وهزمه وفتح حصن شبليش وهو أعظم حصون ابن حفصون منعة ووعورة، فهرب عمر وبقي ثائراً حتى مات سنة 305هـ/917م. وفي ذلك يقول ابن عذاري: في سنة 305هـ/917م "هلك اللعين عمر بن حفصون عميد الكافرين ورأس المنافقين موقد شعلة الفتنة وملجأ أهل الخلف والمعصية"⁽⁵⁾.

ومما يثير الانتباه هو تواطؤ الفاطميين وخيانتهم للمسلمين في أحلك الظروف واتصالهم بالثائر المرتد عمر بن حفصون، يقول لسان الدين بن الخطيب: "خاطب ملوك الشيعة بإفريقية أصدقاء الأموية ووجهوا إليه رجلين، وخاطبوه بالحض على التزام طاعتهم وإقامة دعوتهم، وأقاما عنده حتى حضرا كثيراً من حروبه، ووجه معهما هدية إلى صاحبهما"⁽⁶⁾.

انتهى الأمر بهزيمة عمر ومقتله ودُفن مع القسيسين على سنة النصارى⁽⁷⁾، وقد عامل الناصر ابن حفصون بعد موته بشيء من القسوة حيث أمر بنبش قبره ولما وجدته مدفوناً على النصرانية أمر بإخراج جثته وبعثها إلى قرطبة للفرح بهذا النصر⁽⁸⁾.

وخلفه في قيادة الثوار سليمان بن عمر بن حفصون: فبعد موت عمر طلب ابنه سليمان الأمان وتنازل عن

(1) شلبي، موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، ج4، ص108. وسالم، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس، ص282.

(2) لسان الدين بن الخطيب، تاريخ أسبانيا الإسلامية، ص32.

(3) بيشتر: حصن منيع بينه وبين قرطبة ثمانون ميلاً، وقد كان هذا الحصن قاعدة العجم كثير الديارات والكنائس، ولهذا الحصن قرى كثيرة وحصون، وحوله كثير من المياه والأشجار والكروم وأصناف الفاكهة، ولما كانت فتنة ابن حفصون آتت على أكثره. الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ص79.

(4) ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب، ج2، ص171.

(5) ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب، ج2، ص171. وانظر: مؤنس، موسوعة تاريخ الأندلس، ص267. ووات، في تاريخ أسبانيا الإسلامية، ص54.

(6) لسان الدين بن الخطيب، تاريخ أسبانيا الإسلامية، ص32.

(7) المصدر السابق، ص32.

(8) دوزي، المسلمون في الأندلس، ص333.

ألبيرة وأبذة ثم استقدمه الناصر إلى قرطبة، إلا أنه حاول الغدر والنكث ثانية فقتل سنة 314هـ/926م⁽¹⁾. يقول دوزي: إن سليمان اضطر للاستسلام سنة 305هـ/917م وانخرط في جيش الخليفة الذي شن حروبه ضد ملك ليون ثم حاول الثورة فقتل وصلب سنة 314هـ/926م في شنت بنجنت⁽²⁾ بعدما شن غارات عديدة على قرطبة⁽³⁾.

ويبدو أن سليمان تابع سياسة أبيه عمر في تعامله مع السلطة حيث استأمن الناصر وخطب طاعته فسأله الخليفة حتى تمكن وعلا قدره وقوي عوده فعاد وثار وشن الغارات وسبى النساء وقتل السكان مما دعى الخليفة الناصر إلى أن يخرج إليه بنفسه فهزمه وفتح الكثير من حصونه عندها طلب الأمان فأعطاه الخليفة الأمان ثم عاد وغدر ونكث العهد حتى هُزم وقتل⁽⁴⁾. ولا بد للباحث في هذا المقام من تأكيد أن الخليفة الناصر كان يتمتع بدرجة عالية من الحلم يهزم عدوه ثم يطلق سراحه ويعطيه الأمان.

وبعد موت سليمان ولي الأمر أخوه حفص بن عمر بن حفصون فخرج إلى قتاله الخليفة الناصر سنة 315هـ/927م ففتح مدينة أنجش وجرت بينهما حرب في بيشتربنى الناصر بجوارها حصناً وغادر الجيش بعد أن أمر عليه وزيره ابن المنذر، فطلب حفص الأمان فأعطي الأمان ودخل في جيش الخليفة وشارك في غزواته على جليقية⁽⁵⁾ وأغدق عليه الناصر المال وبقي على ذلك حتى مات بوادي الحجارة⁽⁶⁾ سنة 315هـ/927م⁽⁷⁾. ثم أمر الخليفة الناصر بهدم حصن بيشتروهدم الأسوار.

وهنا يجد الباحث أن المستشرق دوزي دائماً يبحث عن مبررات لاستسلام آل حفصون ويعلل سبب نهاية حفص واستسلامه إلى قلة المؤن والحصار الذي فرض عليه⁽⁸⁾ بعد ذلك ثار جعفر بن عمر بن حفصون حيث ذهب جعفر مذهب أبيه في العناد ودس الشُّرور لقطع الطرقات فبعث إليه الخليفة الناصر جيوشاً ثم غزاه بنفسه وفتح حصونه عنوة وقتل جند جعفر واستباح سكان حصنه قتلاً وأسراً ثم اختفى جعفر ومعه جماعة وضاق أمره فثار عليه طائفة من خاصته وقتلوه⁽⁹⁾.

يعلل دوزي مقتله بأن جعفر رأى أن أبيه عمر أخطأ بتصره فقرر العودة للإسلام حتى يساعده أهل

(1) ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب، ج2، ص171.

(2) دوزي، المسلمون في الأندلس، ص282 - 283.

(3) سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس، ص282 - 283.

(4) لسان الدين بن الخطيب، تاريخ أسبانيا الإسلامية، ص33.

(5) جليقية: من بلاد الأندلس، تقع في شمال غرب البلاد، وتطل على المحيط هدمها المسلمون وأجلوا أهلها. حكى المؤرخون عنها أنها بلاد يغلب عليها الرمل وأن أهلها أهل غدر ودناءة أخلاق، لا يفتسلون في العام إلا مرة أو مرتين، وفيهم بأس شديد لا يرون الفرار عند اللقاء ويرون الموت دونه. الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ص169.

(6) وادي الحجارة: مدينة تعرف بالأندلس باسم مدينة الفرج، وهي بين الجوف والشرق من قرطبة، وبينها وبين طليطلة خمسة وستون ميلاً، وهي مدينة حسنة كثيرة الأرزاق بينها وبين مدينة سالم خمسون ميلاً. الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ص606.

(7) المصدر السابق، ص34.

(8) دوزي، المسلمون في الأندلس، ص231.

(9) لسان الدين بن الخطيب، تاريخ أسبانيا الإسلامية، ص33.

الأندلس فتأمر عليه أتباعه من المستعربين وقتلوه سنة 318هـ/930م⁽¹⁾.

ثم ظهر بعده أخوه عبد الرحمن بن عمر بن حفصون، وكان عبد الرحمن بن حفصون أميل للقلم منه للسيف فلم يلبث أن بادر للاستسلام وذهب إلى قرطبة حيث قضى حياته مشغولاً بالعلم ونسخ المخطوطات⁽²⁾ بعدما أغدق عليه الناصر العطاء وأوسع عليه بالمال⁽³⁾.

وما لبثت فتنة آل حفصون بعد القضاء على ذيولها أن اتقدت عندما تزعمت إحدى بنات عمر قيادة الثورة وهي أرجنتيا التي كانت شديدة التعصب للنصرانية وكانت تتطلع منذ زمن بعيد للثورة، فأشهرت تنصرها وتزعمت قيادة الثورة فأثارت غضب السلطة واعتبرت مرتدة وفق أحكام الشرع فقتلت سنة 319هـ/931م⁽⁴⁾.

يبدو أنه كان سائداً في الأندلس طريقة الارتداد عن الإسلام والمعاندة بهذا الشكل وهو إظهار التنصر. إن مثل هذه التصرف يعد وفق أحكام الشرع ارتداداً عن الإسلام يعاقب فاعله بالقتل، أما إذا بقي على دينه إذا كان مسيحياً أصلاً فإنه سيُعامل معاملة عادلة سمحة من الدولة وفق أحكام الشرع تجاه أهل الذمة. يمكن تسمية هذا التصرف بالارتداد عن الإسلام وإثارة الفتنة ضد الدولة الإسلامية، كما أنها مغامرة تصنف على أنها انتحار.

ثورة بني حجاج في أشبيلية:

في سنة 301هـ/913م هرب محمد بن إبراهيم بن حجاج أحد أبناء الأسرة الوالية على أشبيلية إلى الخليفة الناصر في قرطبة طالباً منه الأمان وعرض نفسه على الخليفة لمساعدته في حرب أهل أشبيلية الذين أعلنوا التمرد والعصيان على الدولة، فسار إليها الناصر وهدم أسوارها ودخلها واستصلح أهلها⁽⁵⁾، ويعود سبب فتح أشبيلية وهزيمة ثوارها إلى تعاون بعض بني حجاج مع الدولة الأموية في الأندلس ضد بعضهم البعض⁽⁶⁾.

ويورد أحد المستشرقين أخباراً مفصلة عن ثورتهم فيقول: "اشتد الحصار على أحمد بن مسلمة بن حجاج في أشبيلية وكان أخوه محمد قد هرب ملتجئاً إلى الخليفة الناصر، ولما اشتد الحصار عليه بحث عن حليف فطلب النجدة من ابن حفصون الذي مد يده لمعاونته فالتقى مع جيوش الخليفة فهُزم هزيمة ساحقة وهرب إلى ببشتر وهكذا تم فتح أشبيلية"⁽⁷⁾.

(1) دوزي، المسلمون في الأندلس، ص232. وسالم، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس، ص282. وجودة، تاريخ المغرب والأندلس، ص97.

(2) دوزي، المسلمون في الأندلس، ص232.

(3) سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس، ص383.

(4) دوزي، المسلمون في الأندلس، ص232.

(5) ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب، ج2، ص164.

(6) لسان الدين بن الخطيب، تاريخ أسبانيا الإسلامية، ص35. للمزيد ينظر: بيضون، الدولة العربية في أسبانيا، ص293.

(7) دوزي، المسلمون في الأندلس، ص224-226. وجودة، تاريخ المغرب والأندلس، ج2، ص150. وحاتمة، الأندلس التاريخ والحضارة والمحنة دراسة شاملة، ص322.

ثورة أمية بن إسحاق:

في سنة 327هـ/938م ثار أمية بن إسحاق بمدينة شنترين وشق عصى الطاعة ضد الدولة، أما سبب ثورته فيعود إلى قيام الخليفة بقتل أحد وزرائه واسمه أحمد بن إسحاق وهو أخ لأمية، فلما علم أمية بمصير أخيه اعتصم والتجأ إلى ردمير ملك الجلائقة ودله على عورات المسلمين، ثم عاد وطلب الأمان من الخليفة فأكرمه وأمنه⁽¹⁾.

ثورة الشيخ الأسلمي:

ثار في لقتت ومعه ابنه عبد الرحمن حيث قاموا بمهاجمة القرى والمسافرين فأرسل إليه الخليفة الناصر قائده أحمد بن إسحاق الذي استولى على قلاعه واحدة تلو الأخرى وأرغمه على الاستسلام وأخذهم معه إلى قرطبة⁽²⁾ إضافة إلى الكثير من الثوار الذين استسلموا مثل ابن مستنة في جبال بريجو، وبربر بن المهلب في رية. وبالرغم مما تمتع به الناصر من حلم مع الثوار إلا أنه كان قاسياً حتى مع أقرب المقربين منه إذا قاموا بأي عمل يمكن أن يقف في طريق مسيرة توحيد الدولة وضبطها أو يتآمر على السلطات فيها وإن كان ابنه، يقول لسان الدين بن الخطيب: "ثم طرد الناصر ما طرد جده، فأنفذ قتل ولده عبد الله عندما بلغه أن جماعة من أهل قرطبة بايعوه بالخلافة سنة 338هـ/949م"⁽³⁾.

يذكر أن الناصر بعدما قبض على ابنه المتآمر أحضره يوم العيد وأمره أن يضطجع له فاضطجع فذبحه بيده والتفت إلى خواصه فقال: هذه ضحيتي في هذا العيد فذبحه⁽⁴⁾.

وهكذا تمكن الناصر من هزيمة المتمردين في كل مكان وقد عبر ابن الأثير عن جهاد الناصر بقوله: (لم يزل يقاتل المخالفين حتى أذعنوا له وأطاعوه نيفاً وعشرين سنة، فاستقامت البلاد وآمنت في دولته ومضى لحال سبيله)⁽⁵⁾.

يقول أحد الباحثين: "لم يقابل الناصر أحداً ممن خالفه أو خرج عليه إلا غلبه واستولى على ما في يديه فافتتح الأندلس مدينة مدينة حتى دانت له البلاد"⁽⁶⁾.

ويبدو أن الناصر كان يمتلك جيشاً قوياً يتكون من العرب والموالي مكنه من أن ييسط نفوذه على البلاد⁽⁷⁾ فقد قُدّر عدد الفتيان والغلمان والجواري داخل القصر حين وفاته بمدينة الزهراء بالآلاف⁽⁸⁾.

رابعاً: علاقاته الدبلوماسية

وفيما يخص مساعدة الامبراطور البيزنطي للخليفة الناصر في مواد البناء فإن ذلك يرجع إلى أسباب

(1) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج6، ص371. وبروفنس، الجزء الخاص بالأندلس من الروض المعطار، ص20.

(2) دوزي، المسلمون في الأندلس، ص334.

(3) لسان الدين بن الخطيب، تاريخ أسبانيا الإسلامية، ص39.

(4) الزركلي، الأعلام، ج3، ص324.

(5) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج6، ص143.

(6) الدوري، تاريخ العرب المسلمين وحضارتهم في الأندلس، ص176.

(7) ابن الفقيه، مختصر كتاب البلدان، ص84.

(8) لسان الدين بن الخطيب، تاريخ أسبانيا الإسلامية، ص41.

سياسية حيث شهدت العلاقات بين الدولة الأموية في الأندلس والدولة البيزنطية تحسناً في العلاقات السياسية منذ الثلث الأخير من القرن الثالث الهجري، وقد جاءت كردة فعل على العلاقة التي أشارت إليها المصادر الغربية بين الدولة العباسية منذ عهد الخليفة المهدي وبين الدولة الكارولنجية بزعامة شارلمان المتاخمة للدولة الأموية في الأندلس، وتحديث بعض هذه المصادر عن تبادل للسفارات بين الدولتين⁽¹⁾.

توازن القوى وأثره على العلاقات الإسلامية الأوروبية:

أثر العلاقة العباسية الإفرنجية: كانت العلاقات الدولية منذ القرن الثاني وحتى القرن الرابع الهجري بين القوى الإسلامية الكبرى (العباسيين في بغداد والأمويين في الأندلس) مع القوى الأوروبية الكبرى (الدولة البيزنطية ودولة الفرنجة) قد جاءت كفعل ورد فعل على بعضها البعض، ولتوضيح ذلك يرى الباحث ضرورة إعطاء لمحة عن الفعل العباسي في هذه العلاقة.

فقد توافرت عدة عوامل دفعت بعض الخلفاء العباسيين لإقامة هذه العلاقة مع الفرنجة للسعي إلى استرداد الأندلس (أسبانيا) المتاخمة لحدود الفرنجة، أما شارلمان فقد كان يسعى لإضعاف خصومه البيزنطيين المتاخمين للدولة العباسية. فقد استاء العباسيون منذ القرن الثاني الهجري من قيام عبد الرحمن الداخل باقتطاع جزء من الدولة الإسلامية، ولذلك بحثوا عن أي حليف سياسي عسكري منذ عهد الخليفة المهدي في سبيل استرجاع واسترداد الأندلس إلى جسم الخلافة العباسية عملياً، باعتبارها خلافة المسلمين الوحيدة آنذاك والتي ينبغي من وجهة نظرها أن تسيطر على جميع أقاليم العالم الإسلامي المعاصر لها آنذاك⁽²⁾.

وقد وجد العباسيون إبان عهد ثالث خلفائهم المهدي (158 - 169هـ/774 - 785م) ضالتهم بالتحالف مع شارلمان الذي رحب بمشروع إقامة علاقات سياسية عسكرية مع العباسيين بفعل دافعين هما:

- دافع أوروبي مسيحي، فالحرب على الأمير الأموي في الأندلس حرب مقدسة، وتعتبر أول حملة هجومية قام بها الفرنجة ضد المسلمين في أسبانيا بعد أن قام هؤلاء بسلسلة من الحملات العسكرية داخل أراضي الدول الإفرنجية حيث وصلوا بقيادة عبد الرحمن الغافقي إلى مشارف باريس ثم توقفوا بعد بلاط الشهداء، إضافة إلى أن ذلك سيكسب شارلمان شأنًا دينياً كبيراً في العالم المسيحي، مما يعزز منافسة شارلمان لامبراطور الدولة البيزنطية ويدعم جهوده السياسية في إعادة وإحياء الامبراطورية الرومانية الغربية ثم السيطرة على أوروبا.

- كراهية شارلمان للإسلام والمسلمين فقد راودته آمال وتطلعات لطردهم من أسبانيا لاسيما وأن سيادتهم في جنوب فرنسا قد ضعفت، أو على الأقل حماية الحدود الجنوبية لمملكته من التهديد الإسلامي بتبني سياسة الهجوم من أجل الدفاع⁽³⁾.

(1) للتوسع في ذلك ينظر: الشوارة، تاريخ الدولة العباسية، ص163. الشوارة، سياسة الخليفة المهدي الداخلية، ص39.

(2) المرجع نفسه، ص163 - 165.

(3) طقوش، تاريخ الدولة العباسية، ص80.

عبر شارلمان بجيشه جبال البرتات متجهاً إلى سرقسطة سنة 161هـ/777م فوصل مشارف المدينة التي كان عليها الوالي سليمان الأعرابي المتواطئ مع الخليفة المهدي ضد عبد الرحمن الداخل أمير الأندلس الأموي. حيث كان هناك اتفاق مفاده أن يقدم حاكم سرقسطة سليمان الأعرابي التسهيلات والدعم والمساندة لجيش شارلمان ضد الأمير الأموي في الأندلس، غير أن أهالي سرقسطة رفضوا تسليم مدينتهم لملك مسيحي فقاموا بثورة تزعمها رجل منهم اسمه الحسين بن يحيى الأنصاري وأغلقوا أبواب المدينة في وجه شارلمان وحليفه واليهيم سليمان الأعرابي واضطر شارلمان بعد ذلك إلى العودة إلى بلاده، بعد أن فرض حصاراً شديداً على سرقسطة لاقتحامها عنوة⁽¹⁾.

في هذه الأثناء وصلت الأخبار إلى شارلمان أن القبائل السكسونية الجرمانية قد قامت بثورة خطيرة وأنها تركت المسيحية وارتدت إلى ديانتها الوثنية القديمة. فاضطر شارلمان للعودة إلى بلاده مسرعاً سنة 162هـ/778م، وصحب معه سليمان الأعرابي كأسير حرب لأنه كان السبب في فشل حملته على الأندلس، وأثناء مرور شارلمان بجبال وأودية البرتات عائداً إلى بلاده، إذ بسكان هذه المناطق الجبلية الذين يعرفون باسم البشكنش يهاجمون مؤخرة جيشه ويقضون عليها بمساعدة المسلمين العرب في الأندلس حيث أراد أبناء سليمان الأعرابي الانتقام لأسر أبيهم فنجحوا في تحريره من أسر شارلمان وقد قدم لهم عبد الرحمن الداخل الدعم المالي والعسكري ضد الفرنجة وبذلك انتهى حلم شارلمان بغزو الأندلس وانتهى معه حلم الخليفة المهدي ومعه العباسيون باستعادة الأندلس بعد أن اقتنعوا باستحالة ذلك⁽²⁾.

يقول أحد المؤرخين المعاصرين في وصف العلاقة بين العباسيين والفرنجة بقيادة شارلمان: "نجد أن العلاقة الحربية بين العباسيين والأمويين قد انتهت منذ ذلك الوقت وحلت محلها مناورات سياسية أو ما يعرف اليوم بالحرب الباردة"⁽³⁾، فالعباسيون يتحالفون مع الفرنجة (شارلمان) ويرد عليهم أمويو الأندلس بالتحالف مع الدولة البيزنطية.

وعندما مات الملك البيزنطي وخلفه ابنه في وراثة العرش وكان طفلاً صغيراً أصبحت أمه آيريني - زوجة الامبراطور - هي الوصية عليه وهي التي تدير شؤون البلاد نيابة عنه فجرى بينها وبين الرشيد (قائد الحملة وابن الخليفة المهدي) مراسلات عرضت فيها دفع الجزية والفدية مقابل الصلح وانسحاب الجيش العباسي فقبل قائد الجيش العباسي هارون بن الخليفة المهدي الجزية والصلح مقابل أن تقيم له الأدلاء والأسواق في طريق عودته وأن تدفع له جزية مقدارها تسعون ألف دينار تؤديها مرتين في السنة وأرسلت معه رسولاً يحمل الجزية التي اتفقا عليها وكتبوا كتاب الهدنة في ثلاث سنوات وسلمت ما عندها من أسرى مسلمين، وكان هارون قد حقق نصراً ساحقاً قبل هذا الصلح فقد بلغ عدد القتلى البيزنطيين ما يقرب من خمسين ألف قتيل، ومن غنائم البقر والغنم أكثر من مئة ألف رأس حتى بيع البغل بأقل من عشرة دراهم⁽⁴⁾.

(1) العبادي، دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، ص103.

(2) الشواورة، تاريخ الدولة العباسية، ص163.

(3) العبادي، دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، ص104.

(4) للتفصيل انظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، أحداث سنة 164، 165، 166هـ. وابن كثير، البداية والنهاية، ج8، ص153.

أشارت المصادر الغربية إلى وجود علاقة سياسية بين الدولة العباسية في عهد الخليفة هارون الرشيد وبين الدولة الكارولنجية بزعامه شارلمان، وتحديث بعض هذه المصادر عن تبادل للسفارات بين الدولتين، وكانت العوامل التي دفعت الخليفة الرشيد لإقامة هذه العلاقة بين الطرفين هي السعي لاسترداد الأندلس (أسبانيا) المتاخمة لحدود الفرنجة، أما شارلمان فقد كان يسعى لإضعاف خصومه البيزنطيين المتآخمين للدولة العباسية.

وبحدود اطلاعي على مصادر التاريخ الإسلامي لم أجد ذكراً لهذه العلاقة وهذه السفارات، غير أنها في بعض المراجع الأجنبية⁽¹⁾ أوضحت أنها كانت علاقات سياسية، حاول كل طرف من أقطابها ضرب خصومه والاستعانة بالآخر ضد خصمه وهذا في السياسة ممكن لتحقيق المصالح السياسية. وقد شملت هذه الهدايا ساعة مائية قيل: إن الرشيد قد أرسلها إلى شارلمان مع عطور وأقمشة حريرية ولبسم ملاوي وأواني نحاسية.

إن المهم في هذا السياق هو البحث عن الأسباب التي دفعت إلى إقامة هذه العلاقة والتي دعت إلى إقامتها وأثرها في رسم سياسة الناصر الخارجية:

1. محاولة زعيم الدولة الإفرنجية في فرنسا وألمانيا ضم أسبانيا إلى دولته وبالتالي عمد إلى تأييد معنوي من الخليفة الإسلامي الوحيد آنذاك وهو الخليفة هارون الرشيد حيث لم تكن بهذه الآونة قد أعلنت الخلافة الأموية في الأندلس أو الفاطمية في مصر⁽²⁾.

2. رغبة الأوروبيين بتسهيل الحج إلى الأراضي المقدسة في فلسطين. وهنا لابد لنا من القول إن موقف المسلمين من الأماكن المقدسة وزوارها واضح لا لبس فيه فالدولة الإسلامية لم تكن بأي فترة عائقاً أمام تنقل أهل الذمة وزيارتهم للأماكن المقدسة في فلسطين⁽³⁾.

إن سكوت المصادر الإسلامية المهمة كالطبري (ت 310هـ/922م) وابن الأثير (ت 630هـ/1232م) مثلاً، دليل على غموض هذه العلاقة، مع أن هذه المصادر أسهبت في وصف علاقات وسفارات السلام والمفاداة التي تمت في عهد الخليفة العباسي الواثق بالله مع البيزنطيين⁽⁴⁾.

تشير إحدى الدراسات الحديثة إلى هذه العلاقة بالقول: «إن ما ذكرته المصادر الغربية من وجود علاقة سياسية فهي لا تتعدى العلاقات التجارية التي كانت موجودة، وعندما يقوم تاجر بزيارة دولة ما فإنه يتقرب إلى حاكمها أو أميرها بتقديم بعض الهدايا ليحصل على امتيازات من هذه الدولة أو الإمارة ولربما يجري

(1) ممن ذكر ذلك:

Buckler, F. W. 1931. Harun Al-Rashid and Charles the Great. The Mediaeval Academy of America. Cambridge, MA. p170. ; Runciman: op. cit, p 600; ostrogorsky: p165; Joranson: op. cit. pp 241- 246.

وبارتولد، دراسات في تاريخ فلسطين في العصور الوسطى، ص61- 68، 73.

(2) للتوسع في ذلك ينظر: الشواورة، تاريخ الدولة العباسية، ص163.

(3) بارتولد، دراسات في تاريخ فلسطين في العصور الوسطى، ص61- 68.

(4) للمزيد راجع: الشواورة، خلافة الواثق بالله 227- 237هـ، ص127.

الحديث أثناء المقابلة إلى التطرق إلى أوضاع البلاد الأخرى ومنها البلاد الإسلامية⁽¹⁾. لقد كان تحالف الرشيد مع شارلمان - امبراطور فرنسا وألمانيا وإيطاليا - قد نتج عنه سفارات طويلة الأمد جرت بينهما، فالسفارة الأولى استغرقت ما بين عامي 182هـ/798م و185هـ/801م، وكانت مؤلفة من سفيرين إفرنجيين ومعهما مترجم يهودي يعرف العربية يقال له إسحاق. وكانت السفارة قد تضمنت أن يعهد الرشيد إلى شارلمان بالقيام بمصالح العباسيين فيما يفتحه من بلاد الأندلس؛ وذلك لاشتراك الطرفين في عداة الأندلس، الرشيد لخروج بني أمية عليه، وشارلمان لأن الأندلس اقتطعها المسلمون من دولته. وفي سنة 161هـ/777م، اتتمر زعماء العرب في الشمال الشرقي من الأندلس وألفوا كتلة فرحب الرشيد بهذه الفكرة، وكان الرشيد كأبيه وجده شديد العداوة السياسية للأمويين ومنهم بنو أمية في الأندلس، ورحب شارلمان بالفكرة لحبه في الفتح وأمنيته في رد الأندلس إلى مملكته بعد أن فتحها المسلمون. كما أراد أن يسهل الرشيد لزوار بيت المقدس من المسيحيين الكاثوليك ويعفيهم من القيود والتكاليف التي وضعها الرشيد إذ ذاك على أهل الذمة، أما السفارة الثانية، فقد أوفدها شارلمان إلى الرشيد.

وقد أحصيت التحف والهدايا التي بعث بها الرشيد إلى شارلمان، فكانت بوقا من العاج وهي محفوظة للآن في مدينة آج، وسيفا وصينية من الذهب محلاة بقطع من الزجاج مختلفة الألوان، وعليها صورة لكسرى الأول مصنوعة من البلور محفوظة في دير «سنتدفيس» وقطعة من قطع شطرنج شرقي محفوظة في الدير نفسه، وإبريقا من الذهب محفوظاً في دير كنتون فللس، وثمانى شوكلات من التاج الذي يدعون أنهم ألبسوه رأس المسيح عليه السلام عند صلبه.

كما أن الرشيد أرسل إلى شارلمان في السفارة الأولى هدية فيها فيل، يسمى أبا العباس، وهدايا أخرى. وقد أخذ هذا الفيل شهرة واسعة لأن الفرنجة لم يكونوا قد رأوا فيلاً قط، وكان الرشيد قد أتى به من الهند، وبعد ذلك أرسل شارلمان وفداً إلى بلاط الرشيد، وقد قالوا: إنه مر في طريقه بالأراضي المقدسة، ثم سار إلى بلاط الخليفة في بغداد⁽²⁾.

ثم أرسل الرشيد وفداً آخر إلى شارلمان يحمل هدايا ثمينة منها رخام ملون بألوان متنوعة جميلة، ومنسوجات من الحرير والكتان، وروائح عطرية وبلسم وساعة مائتة وأوان نحاسية. وقد أقام السفراء عند الامبراطور مدة ثم أرسلوا إلى إيطاليا حيث أبحروا من هناك إلى المشرق⁽³⁾.

وقد أنكر بعض الباحثين من الفرنجة حكاية هذه الوفود بدعوى أن مؤرخي العرب لم يذكرها في كتبهم، ولكن هذه الحجة لا تقنع؛ لأن كثيراً من الحوادث حدثت في أوروبا ولم يذكرها مؤرخو العرب لجهلهم بها، خصوصاً أن بقايا هذه الهدايا محفوظة إلى اليوم، ومن المؤكد أنها مصنوعة في الشرق. ليس من المعقول أن يشتريها إسحاق اليهودي من ماله وينسبها إلى الرشيد؛ فإسحاق أعجز من أن يفعل هذا.

(1) السامرائي، تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، ص89.

(2) أمين، هارون الرشيد، ص136.

(3) الشواورة، تاريخ الدولة العباسية، ص163 - 165.

وكانت عقلية الرشيد إذ ذاك أنضج وأوعى من عقلية الغرب، وكانت صناعتهم أدق وأجمل حتى قيل أن الغربيين عجبوا عجباً شديداً عند رؤيتهم البوصلة والساعة الدقاقة، وظنوا من عجبهم أن فيها شيطانين يحركانها ويأتیان بهذه الأعاجيب⁽¹⁾!

ورداً على هذه العلاقات فقد رد البيزنطيون في عهد تيوفيل بإرسال وفد إلى قرطبة برئاسة السفير قرطبوس وقد حمل هذا الوفد هدايا ثمينة فأمر الأمير الأموي عبد الرحمن الأوسط بإرسال سفارة إلى البيزنطيين برئاسة يحيى الغزال⁽²⁾.

وفي عهد الخليفة الناصر حدثت حركة تبادل السفارات مع الدولة البيزنطية حيث كان يعاصره الامبراطور البيزنطي قسطنطين السابع، ففي سنة 336هـ/947م زار وفد بيزنطي الأندلس، فجرى استعداد حثيث لاستقباله من حيث تزيين قصر الخليفة والاحتفاء بهذا الوفد، وقد أشار ابن خلدون إلى ذلك بقوله: "وزين القصر الخلافة بأنواع الزينة وأصناف الستور وجعل السرير الخلافة بمقاعد الأبناء والإخوة والأعمام والقراية ورتب الوزراء والخدمة في موقعهم ودخل الرسل فهاهم ما رأوا وقربوا حتى أدوا رسالتهم وأمر يومئذ الأعلام أن يخطبوا في ذلك المحفل ويعظموا أمر الإسلام والخلافة، فاستعدوا لذلك ثم بهرهم هول المجلس فوجموا فشرعوا في القول وارتجف بعضهم.." ⁽³⁾ ولما فرغ الوفد البيزنطي من زيارته وقرر العودة إلى بلاده رافقه وفد أموي من الأندلس برئاسة هشام بن هذيل يحمل رسالة من الخليفة الناصر يعبر فيها عن تطلعه إلى إقامة علاقات دبلوماسية بين الطرفين ويؤكد فيها على اهتمامه بتطوير العلاقات الثنائية بين الطرفين⁽⁴⁾.

ثم قامت الدولة البيزنطية بإرسال وفد دبلوماسي سنة 338هـ/949م. وقد تحدث ابن عذاري عن هذه السفارة وأنهم حملوا معهم رسالة من الامبراطور مكتوبة بالذهب، وعلى هذه الرسالة ختم ذهبي يزن أربعة مثاقيل مرسوم على أحد وجهيه صورة يدعى أنها للمسيح عليه السلام وعلى الوجه الآخر صورة الامبراطور قسطنطين وابنه. ونتج عن هذه السفارات نقل وترجمة بعض كتب التراث الإغريقي، إضافة إلى مواد استخدمت لعمارة وتزيين مسجد قرطبة ومدينة الزهراء⁽⁵⁾.

العلاقة مع الدولة الفاطمية:

كان الخلاف المذهبي بين الدولة الفاطمية الشيعية والدولة الأموية السنية في الأندلس سبباً في الخلاف السياسي، فقد حاولت الدولة الفاطمية نشر مذهبها في الأندلس، كما بدأ كل طرف يرسل دعواته إلى الآخر من أجل الترويج ونشر مذهبهم وتعريف مواطن الضعف عند الآخر، فقد أرسلت الدولة

(1) أمين، هارون الرشيد، ص137.

(2) بيضون، الدولة العربية في أسبانيا، ص258.

(3) ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخير، ج4، ص143.

(4) ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب، ج2، ص215. والمقري، نفع الطيب 1- 366.

(5) ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب، ج2، ص215. وانظر: بدر، دراسات في تاريخ الأندلس وحضارتها، ص139.

الفاطمية أحد دعائها وهو جعفر بن محمد بن هارون البغدادي⁽¹⁾ الذي دخل الأندلس مُتخفياً بحجة طلب العلم وتردد بين بلدان الأندلس بهذه الحجة كما يذكر ابن الفرضي⁽²⁾، ومن الدعاة الذين أرسلهم الفاطميون ابن مسرة القرطبي الذي وصل الأندلس وبدأ يدعو الناس إلى الدعوة الفاطمية الشيعية⁽³⁾ كما استعان الفاطميون بابن حوقل الذي تخفى في الأندلس بزى التجار وكان يُعرف في الأندلس بالحموي التاجر⁽⁴⁾. وقد جمع ابن حوقل معلومات وافية عن الأندلس وثروة الدولة الأموية وأوضاعها الاقتصادية والعسكرية.

تجنى ابن حوقل على الدولة الأموية وأهل الأندلس حين وصفهم قائلاً: "مع صغر أحلام أهلها، وضعة نفوسهم، ونقص عقولهم، وبعدهم عن الشجاعة والفروسية والبسالة ولقاء الرجال.. وليس لجيوشهم حلاوة في العين لسقوطهم عن أسباب الفروسية وقوانينها"⁽⁵⁾.

وبتحليل هذا الوصف نجد أن ابن حوقل يركز على المعلومات التي تتعلق بقوة جيش الدولة الأموية بالأندلس والاهتمام بالنواحي العسكرية وعلى الرغم من ذلك فإن الدعاية للمذهب الشيعي لم تلق قبولاً في الأندلس على حد قول المقرئ⁽⁶⁾.

عمل الفاطميون على الترحيب بالمنائين لبني أمية في الأندلس فقد استقبلت الدولة الفاطمية بعض اللاجئين من الأندلس في المهدي والقيروان مثل الشاعر محمد بن هاني الأشبيلي بعد اتهامه بالمذهب الإسماعيلي فالتحق بخدمة المعز لدين الله الفاطمي وصحبه إلى مصر وتوفي فيها⁽⁷⁾.

اهتم الفاطميون باستمالة القادة والثوار والمنائين للدولة الأموية في الأندلس أمثال القائد علي بن حمدون الجذامي المعروف بابن الأندلس فاتصل بالقائم الفاطمي فقربه منه وعهد إليه ببناء مدينة المسيلة⁽⁸⁾. وقام الفاطميون بإثارة وتشجيع الثوار في الأندلس أمثال عمر بن حفصون فأمده عبيد الله المهدي الفاطمي بالهدايا والعتاد والأسلحة بغية إضعاف الدولة الأموية وتشتيت جهودها وإطالة أمد الفتنة⁽⁹⁾.

وقد كان أهم مسرح للصراع بين الدولتين الفاطمية في مصر والأموية في الأندلس هو مسرح شمال أفريقيا، فقد سعت كل دولة إلى البحث عن أنصار لها في تلك المنطقة التي يقطنها كثير من البربر، على اعتبار أن هذه المنطقة (شمال أفريقيا) وسكانها البربر تمثل الخط الأول للدفاع عن كلتا الدولتين، وقد

(1) ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص21.

(2) المصدر نفسه، ص61.

(3) ابن حوقل، صورة الأرض، ص39-40.

(4) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ص348.

(5) ابن حوقل، صورة الأرض، ص104.

(6) المقرئ، نفع الطيب، ج1، ص197.

(7) الحميدي، جذوة المقتبس في ذكر ولاية الأندلس، ص96.

(8) المسيلة: مدينة بالمغرب تسمى المحمدية اختطها القائم الفاطمي سنة 315هـ، وهو ولي عهد أبيه. للمزيد يُنظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج5، ص103.

(9) ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب، ج2، ص247. وابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر، ج4، ص143.

كانت الدولة الأموية بالأندلس أكثر اهتماماً في هذه المنطقة بغية إيقاف مد المذهب الشيعي. ونظراً لتكثيف الأمويين جهودهم، فقد نجح الخليفة الأموي الناصر في استمالة قبيلة مغراوة وبنى يفرن من زناتة في حين نجح الفاطميون في استمالة قبائل صنهاجة وكتامة، ومن الجدير ذكره أن الدولتين استغلتا الصراع القبلي والتنافر بين البربر لهذه الغاية⁽¹⁾.

وجد الخليفة الناصر أن الأسلوب الأمثل لمنع الفاطميين من نشر مذهبهم في المغرب الأقصى هو دعم وتأييد الزعماء المغاربة المناوئين للدولة الفاطمية وخاصة محمد بن خزر من قبيلة مغراوة⁽²⁾. وإزاء هذا الفعل الأموي قام عبيد الله المهدي الفاطمي بالطلب من القائد مصالة بن حبوس صاحب تاهرت بمحاربة الزناتيين، وفي سنة 312هـ/924م جرت بين الطرفين معركة حامية قرب تلمسان انتهت بمقتل مصالة⁽³⁾، وهذا ما شجع ولادة وأمراء بعض المناطق الخاضعة للفاطميين على شق عصى الطاعة على موسى بن أبي العافية الذي كان أميراً على مكناسة فتمرد على الفاطميين وأعلن الدخول في طاعة الخليفة الناصر ودعا له على المنابر سنة 319هـ/931م كما عمل على استمالة ولادة وأمراء الفاطميين في شمال إفريقيا على حد قول ابن عذاري⁽⁴⁾ غير أن الدولة الفاطمية سرعان ما أرسلت جيشاً من عشرة آلاف فارس إلى المغرب الأقصى وأعدت فاس وغيرها من المناطق إلى حظيرة الدولة الفاطمية سنة 322هـ/933م؛ فقامت الدولة الأموية في الأندلس بتقديم الدعم المادي والمعنوي لأحمد الجذامي وأعاد ولاء فاس للخليفة الناصر الأموي⁽⁵⁾. لقد قامت بين الطرفين الأموي والفاطمي حروب عديدة بالوكالة في المغرب الأقصى، إذ سعى كل طرف للسيطرة على المنطقة، حيث أرسل القائم الفاطمي قائده ميسور الفتى إلى المغرب حتى وصل فاس وحاصرها وأسر عاملها الأموي أحمد بن بكر وبعث به إلى المهدي⁽⁶⁾ وفي سنة 324هـ/935م أعاد ابن أبي العافية السيطرة على المغرب الأقصى وأعلن الطاعة للدولة الأموية في الأندلس، وحاولت الدولة الفاطمية استعادة تلك المنطقة بقيادة ميسور ولكنها فشلت⁽⁷⁾.

وفي عهد المعز لدين الله الفاطمي (341 - 365هـ/952 - 975م) بدأ العداء بين الدولتين يتخذ مظهراً من القوة فقد أعد المعز لدين الله حملة عسكرية بقيادة جوهر الصقلي وتجمع لجوهر جيش كبير من بربر وكتامة وصنهاجة للتأثر من البربر الذين خلعوا عصى الطاعة للفاطميين وانضموا لبطانة بني أمية في محاولة لاستعادة السيطرة الفاطمية على المغرب. يقول صاحب كتاب الاستقصاء: "ولما اتصل بخليفة الشيعة وهو المعز لدين الله الفاطمي محمد بن إسماعيل العبيدي، غلبه الناصر على بلاد العدو وأن جميع من بها من

(1) ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر، ج6، ص89.

(2) ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب، ج2، ص243.

(3) المصدر نفسه، ج1، ص197.

(4) المصدر نفسه، ج2، ص204.

(5) للمزيد عن الصراع على المغرب الأقصى ينظر: ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر، ج6، ص135. وابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص55-56.

(6) ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر، ج6، ص135. وابن عذاري المراكشي، البيان المغرب، ج2، ص209.

(7) ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص56. وابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر، ج6، ص135.

قبائل زناتة والبربر رفضوا دعوتهم ودخلوا في دعوة بني أمية، عظم الأمر عليه وبعث قائده جوهر الصقلي بن عبد الله الرومي المعروف بالكاتب في جيش يشتمل على عشرين ألف فارس من قبائل كتامة وصنهاجة وأمره أن يطمأ بلاد المغرب ويذلها ويستنزل من بها من الثوار ويشد وطأته عليهم فخرج من القيروان سنة سبع وأربعين وثلاثمائة يؤم بلاد المغرب⁽¹⁾. واستطاع إخضاع قبائل البربر للفاطميين وقتل عامل الأمويين محمد اليفرنى على تاهرت وشتت قبيلة زناتة الموالية للدولة الأموية في أنحاء المغرب وأخضع سجلماسة وغيرها. وبذلك تمكن جوهر من إخضاع كامل المغرب الأقصى للفاطميين باستثناء سبتة وطنجة التي بقيت خاضعة للدولة الأموية في الأندلس⁽²⁾. ولأن هاتين المدينتين تشكلان الخط الأول للدفاع عن الأندلس فقد سعت الدولة الأموية للحفاظ عليهما كمصدر قلق واضطراب للسيادة الفاطمية على شمال إفريقيا.

استفاد الخليفة الأموي الناصر من الأساليب والوسائل التي اتبعها خصومه الفاطميون، فقام بنشر العيون والجواسيس في أنحاء المغرب حيث عملوا على إيصال الأخبار إليه عن أوضاع المغرب، ومن هؤلاء الجواسيس عثمان بن أمية من سكان مدينة المسيلة، وأبو جعفر محمد بن خيرون الأندلسي المعافري صاحب المسجد الذي أسسه في القيروان ولما شك فيه القاضي الفاطمي المروزي أمر بقتله⁽³⁾، ومن العيون محمد الشذوني، وأبو علي حسن بن معرج الفقيه، وقد أمر عبيد الله المهدي بقتلهما بعد أن ثبت ميولهما السنية⁽⁴⁾.

جرى بين فقهاء المالكية في المغرب والأندلس وبين فقهاء المذهب الإسماعيلي مقاومة فكرية عقديّة حتى وصل الأمر بأن فقيهاً مالكيّاً اعتبر أن خطر المذهب الإسماعيلي يفوق خطر النصارى الروم⁽⁵⁾. وقد استقبلت الدولة الأموية بالأندلس الخارجين على الدولة الفاطمية أمثال ابن الخزار المليبي سنة 325هـ/936م وحكم بن محمد القيرواني وأبناء سعيد بن صالح أمير نكور⁽⁶⁾.

لقد عمل الناصر على استمالة قادة الدولة الفاطمية مثل حميد بن بصال صاحب تاهرت فدخل في طاعة الخليفة الناصر وذهب إلى قرطبة فاستقبله الناصر وأحسن وفادته، واستقبل يعلى بن محمد الزناتي فصارت قرطبة مركزاً لإيواء الثائرين ضد الدولة الفاطمية⁽⁷⁾. وقام الناصر بتشجيع قيام ثورات ضد الدولة الفاطمية كثورة أبي يزيد مخلد بن كيداد الزناتي حيث أمدته الدولة الأموية في عهد الناصر بالمساعدات

(1) السلاوي، الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، ج1، ص86.

(2) ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب، ج1، ص222. وابن خلدون، العبروديان المبتدأ والخبر، ج1، ص27، ج4، ص75.

(3) العبادي، دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، ص198.

(4) ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب، ج1، ص169، ص187.

(5) العبادي، دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، ص198.

(6) نكور: مدينة في ريف المغرب الأقصى اتخذها الصنهاجيون عاصمة لهم. ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص61. وانظر: ابن

عذاري المراكشي، البيان المغرب، ج1، ص176.

(7) ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب، ج2، ص312.

العسكرية والمالية⁽¹⁾.

انضم للدولة الأموية في الأندلس بعض الأمراء الذين عملوا على بث الدعوة الأموية بالمغرب الأوسط والأقصى كأمير مغراوة محمد بن الخير، وأمير مكناسة موسى بن أبي العافية⁽²⁾. وقد اهتم الناصر بمنع وصول الإمدادات العسكرية التي أرسلتها الدولة الفاطمية إلى الثائر عمر بن حفصون منذ سنة 301هـ/913م، حيث أمر الناصر بتقوية الأسطول البحري لحراسة الحدود ومنع وصول إمدادات الفاطميين للثوار ومنع تعدياتهم على طنجة ومليلة الأمويتين في المغرب سنة 315هـ/927م⁽³⁾، ثم بدأ الأسطول الأموي يهاجم ممتلكات الفاطميين سنة 344هـ/955م فرد الفاطميون بهجوم بحري على شواطئ الأندلس بقيادة حسين بن علي بنفس العام فنهبوا مدينة المرية الأندلسية وغنموا منها الكثير وأسروا بعضاً من أهلها⁽⁴⁾.

وبفعل تهديد نصارى الشمال الأسباني للدولة الأموية بهذه الأثناء سعى الناصر إلى مهادنة الدولة الفاطمية فأرسل رسولاً إلى المعز لدين الله الفاطمي الذي أدرك نوايا الناصر فرفض الصلح ولما انتهى التهديد النصراني من شمال أسبانيا أمر الناصر سنة 345هـ/956م بتسيير حملة بحرية كبيرة بقيادة أمير البحر غالب فهاجم الأسطول الأموي مدينة سوسة في تونس وحقق نصراً كبيراً على الفاطميين⁽⁵⁾. وفي سنة 347هـ/958م جهز الناصر حملة بحرية قادها أحمد بن يعلى توجهت لغزو السواحل الأفريقية فعبرت تلك الحملة عن طريق سبته وأرغمت الفاطميين على التراجع والرحيل عن تونس⁽⁶⁾.

العلاقات مع القوى الأوروبية:

الامبراطورية الألمانية: أرسل الامبراطور الألماني أوتو الكبير وفداً إلى الناصر سنة 332هـ/943م، وكان رئيس الوفد الراهب جان دي جوزز، ولما وصل هذا الوفد استقبل بحفاوة كبيرة، فرد الخليفة الأموي على هذه السفارة بإرسال وفد إلى بلاط الامبراطور. وكانت هذه السفارات تهدف إلى تحسين العلاقات الدبلوماسية بين الطرفين⁽⁷⁾.

أما الممالك المسيحية شمال أسبانيا فقد كانت علاقتها مع الدولة الأموية قائمة على سلسلة من الغدر المستمر من قبل هذه الممالك ضد مسلمي الأندلس، فكلما سنحت الظروف قاموا بمناوشات ضد المسلمين، لإثبات وجودهم، ولما شاهد ملوك الأسبان التفوق العسكري والحضاري وسفارات الأوروبيين إلى

(1) حسن، عبيد الله المهدي، ص234 - 235.

(2) ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب، ج2، ص318. وابن أبي زرع، الأئيس المطرب، ص56.

(3) ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب، ج2، ص307.

(4) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج8، ص512 - 513.

(5) ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب، ج2، ص318.

(6) المصدر نفسه، ج2، ص332.

(7) للمزيد انظر: ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر، 4 - 143. وعنان، دولة الإسلام في الأندلس، ج2، ص457. والسامرائي،

تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، ص177.

بلاط الناصر، سعوا إلى خطب ود الدولة الإسلامية في عهد الناصر وأرسلوا سنة 344هـ/955م سفارة من ملك مملكة ليون المدعو أوردنيو الرابع من أجل إقامة علاقة سلمية بين الطرفين فوافق الناصر على ذلك⁽¹⁾. وفي سنة 345هـ/956م انضم أمير قشتالة فرناند إلى تلك المعاهدة بتأييد وطلب من ملك ليون⁽²⁾، وتطورت العلاقة سنة 347هـ/958م عندما قامت ملكة نافار المدعوة طوطة برفقة ولي عهدها الأمير غراسية بزيارة إلى البلاط الأموي في مدينة الزهراء وعقدت معاهدة صلح مع الدولة الأموية⁽³⁾.

وأرسل ملك الصقالبة بطرس رسالة إلى الخليفة الأموي فردت الدولة الأموية برسالة مماثلة أوصلها ربيع الأسقف، ثم أرسل ملك فرنسا لويس الرابع رسالة يطلب فيها إقامة علاقات دبلوماسية مع الناصر⁽⁴⁾. ويعلق المقري على هذه العلاقات الدبلوماسية بقوله: "إن ملك الناصر بالأندلس كان في غاية الفخامة ورفعة الشأن، وهادنه الروم، وازدلفت إليه تطلب مهادنته ومتاحفته بعظيم الذخائر، ولم تبق أمة سمعت به من ملوك الروم والفرنجة والمجوس وسائر الأمم إلا وفدت عليه خاضعة راغبة وانصرفت راضية"⁽⁵⁾.

خامسا: سياسته الإدارية

من أبرز الوظائف الإدارية في عهد الناصر والدولة الأموية عموما وظيفه الحجابة: والحجابة مأخوذة من كلمة (حجب) وحجبه أي منعه من الدخول، وهو اسم لوظيفة القائم على الباب، المتولي حفظه. وحجبة البيت أي الكعبة المشرفة، وهم من بأيديهم مفاتيحها⁽⁶⁾، وهي إحدى خمس وظائف من وظائف الشرف من قريش وبقية في الإسلام ومنها الحجابة والسقاية والرفادة والندوة واللواء⁽⁷⁾. وصار في البلاد الإسلامية الشخص المسؤول عن حراسة باب الدخول إلى الحاكم بحيث يسمح للزوار الدخول إليه، وبسرعة أصبح مصطلح الحاجب يمثل منصبا في البلاط، وتختلف طبيعة هذا المنصب بين إقليم وآخر وبين زمن وآخر وعهد وآخر، فكان أحيانا يشبه رئيس الحرس الخاص وأحيانا يشبه رئيس الوزراء⁽⁸⁾، والحاجب بالمفهوم الأخير كان في الأندلس، وقد أشار ابن خلدون إلى ذلك في مقدمته مرتين، كانت الأولى عند كلامه عن الوزارة إذ أشار إلى أن الأمويين في الأندلس أنفوا من اسم الوزير وقسموا وظيفته إلى أصناف وخصصوا لكل صنف وزيرا، وعين للتردد بينهم وبين الخليفة واحد من هؤلاء الوزراء ارتفعت منزلته عنهم وسموه باسم الحاجب، وهكذا ارتفعت وظيفة الحاجب في الأندلس، وفي هذا السياق يقول ابن خلدون: "وأما دولة بني

(1) السامرائي، تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، ص178.

(2) المقري، نفع الطيب، ج1، ص356.

(3) ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر، ج4، ص143.

(4) المصدر نفسه، ج4، ص143.

(5) المقري، نفع الطيب، ج1، ص366.

(6) انظر:

Sourdel, D., Bosworth, C.E., and Lambton, A.K.S. 1986. *Hājib*. The Encyclopedia of Islam, New Edition, Volume III: H-Iram. BRILL, Leiden, and New York.

(7) وجدي، دائرة معارف القرن العشرين، مادة (حجب)، 335/3 - 347.

(8) انظر:

Sourdel, D., Bosworth, C.E., and Lambton, A.K.S. 1986. *Hājib*. The Encyclopedia of Islam, New Edition, Volume III: H-Iram. BRILL, Leiden, and New York.

أمية بالأندلس فأنفوا اسم الوزير في مدلوله أول الدولة ثم قسموا خطته أصنافاً، لكل صنف وزير فجعلوا لحساب المال وزيراً، وللترسيل وزيراً، وللنظر في حوائج المتظلمين وزيراً، وللنظر في أحوال أهل الثغور وزيراً، وجعل لهم بيتاً يجلسون فيه على فرش منضدة وينفذون أمر السلطان هناك، كل فيما جعل له، وأفرد للتردد بينهم وبين الخليفة واحد منهم ارتفع عنهم بمباشرة السلطان في كل وقت وارتفع مجلسه عن مجالسهم وخصوه باسم الحاجب⁽¹⁾.

أما الإشارة الثانية فتدرد عند ابن خلدون عن الحجابة في الأندلس: "وأما في الدولة الأموية بالأندلس فكانت الحجابة لمن يحجب السلطان عن الخاصة والعامة ويكون واسطة بينه وبين الوزراء فمن دونهم.."⁽²⁾. وقد أشار بعض الباحثين إلى أن الحاجب في الأندلس يتمتع بسلطة الوزير في المشرق عند العباسيين والفاطميين⁽³⁾. ويقول أحد الباحثين إلى أن وجود الحاجب في الدولة دليل رقيها وحضارتها، فكان أعظم الملوك شأنًا لا بد له من حاجب⁽⁴⁾ ولعله استند في هذا الاستنتاج إلى مقولة ابن خلدون.

ميز الناصر أحد الوزراء وجعله صلة الوصل بينه وبين باقي الوزراء يقابله متى شاء ودُعي بالحاجب وارتفعت مرتبته حتى صار ملوك الطوائف فيما بعد يتسمون به⁽⁵⁾.

وقد استخدم أفراد الأسرة الأموية في الإدارة أحياناً وفي القيادة العسكرية أحياناً أخرى ففي سنة 302هـ/914م أغرى الناصر عمه أبان بن عبد الله إلى كورة رية⁽⁶⁾، كما كان له وزير من بني أمية يقال له أحمد بن إسحاق⁽⁷⁾، إضافة لاستخدام مواليه والمقربين منه في إدارته، يقول ابن عذاري المراكشي: "كان يولي من استحق عنده من وجوه مواليه"⁽⁸⁾.

يمكن للباحث تلمس أبرز الجوانب والوظائف الإدارية في عهد الناصر مما أورده ابن عذاري وابن خلدون في هذا الجانب عن أبرز الوظائف: "ولى بدر مولاه الحجابة مع الوزارة وخطة الخيل والبُرْد، وولى موسى بن محمد الوزارة وخطة المدينة، وولى على الكتابة عبد الله بن محمد الزجاجي، وأقر محمد بن أبي عبيدة على القيادة، وأقر قاسم بن وليد الكلبي على الشرطة العليا وكان مع ذلك خازناً فصرفه عن الخزانة وولاهها عبد الملك بن جهور، ثم محمد بن لحيد بن مبشر، ثم عيسى بن شديد، ثم سعد بن سعيد، وولى محمد بن عبد الله خزانة السلاح ثم إسحاق بن الشرح، ولى على الشرطة عيسى بن عبده، وولى فطيس بن أصبع خطة البيازرة"⁽⁹⁾.

(1) ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر، ج1، ص670.

(2) المصدر السابق، ج1، ص671.

(3) الصالح، النظم الإسلامية نشأتها وتطورها، ص306.

(4) حسن، حضارة العرب، ص170.

(5) الرفاعي، الإسلام في حضارته ونظمه، ص121.

(6) ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب، ج2، ص158، 166.

(7) بروفنسال، الجزء الخاص بالأندلس من الروض المعطار، ص99.

(8) ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب، ج2، ص158.

(9) ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب، ج2، ص159.

ويلاحظ مما سبق أن الوظائف الإدارية هي: الحجابة (الحاجب)، الوزارة (الوزير)، مدير المدينة (الوالي)، الكتابة (الكاتب الخاص)، الشرطة (مدير الشرطة)، الخزانة (وزير المالية)، البيازرة (تخص الطيور). وكان الناصر يغير عماله وموظفيه باستمرار.

وكانت أبرز الوزارات في عهده هي: وزارة حسابان المال (المالية)، وزارة النظر في حوائج المتظلمين (العدلية)، وزارة الترسيب (الخارجية)، ووزارة النظر في أحوال الثغور⁽¹⁾ (وتشبه حرس الحدود في مفاهيم عصرنا)، ودار خزانة السلاح (وزير الجيش - الدفاع).

الخاتمة والنتائج

تحررت هذه الدراسة الكشف عن سياسة الخليفة عبد الرحمن الناصر الداخلية والخارجية من خلال الحقبة التي حكم فيها الدولة الأموية في الأندلس (300 - 350هـ/912 - 961م).

وأظهرت الدراسة أن الخليفة الناصر كان من أعظم حكام الأندلس الإسلامية حيث تسليح بالعزم والعزيمة وامتلك منهجاً عسكرياً جهادياً صارماً مع الثوار؛ سار فيه حتى تم له القضاء على خصومه وأعاد توحيد الأندلس الذي كان قبل مجيئه ممزقاً ولم يكن للحاكم سوى قرطبة أو بعضها.

انتهج الخليفة الناصر طريقاً وسطاً بين التهيب والترغيب في تعامله مع الحركات والفئات السياسية والثورية المناوئة للدولة. هذه السياسة قامت على الترغيب والوعود الطيبة وإكرام من انساق لطاعته حتى إنه أعطى بعض أبناء حفصون الأمان رغم ارتدادهم أكثر من مرة مما يعني أنه كان حليماً مع الثوار والمعارضين. وبالمقابل فإن الناصر جعل المساس بسلامة الدولة هو الحد الفاصل الذي كان يعاقب كل من يتجاوزه حتى لو كان ابنه، مما أدى إلى القضاء على الثورات المعادية ووفر فرصة من الأمن والهدوء.

هذا الهدوء والاستقرار قياساً على العصر الذي سبقه انعكس كما يبدو على ما قام به من حركات العمران والبناء في قرطبة والزهاء.

سعى الأمويون في الأندلس في عهد الخليفة الناصر إلى إقامة علاقات دبلوماسية مع الدولة البيزنطية كردة فعل على العلاقات العباسية مع الفرنجة، وكانت هذه العلاقات سياسية بحتة لم تصل إلى حد التحالفات العسكرية، حيث سعى كل طرف إلى إضعاف خصمه.

المراجع

ابن أبي زرع، أبو الحسن علي بن عبد الله الفاسي. تصحيح: تورنبرغ، كارل يوحنا. 1843م. الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، الطبعة الأولى، دار الطباعة المدرسية، أوبسالة، السويد.

ابن الأبار، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي البلنسي. تحقيق: مؤنس، حسين. 1963م. الحلة السرياء، بدون رقم الطبعة، الشركة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.

ابن الأثير، عز الدين علي بن محمد. 1986م. الكامل في التاريخ، الطبعة الثالثة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

(1) الرفاعي، الإسلام في حضارته ونظمه، ص112 - 113.

- ابن الفرضي، أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف بن نصر الأزدي. 1966م. تاريخ علماء الأندلس، بدون رقم الطبعة، المكتبة الأندلسية، القاهرة، مصر.
- ابن الفقيه، أبو بكر أحمد بن محمد الهمذاني. دت. مختصر كتاب البلدان، بدون رقم الطبعة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.
- ابن حوقل، أبو القاسم محمد النصيبي. دت. صورة الأرض، بدون رقم الطبعة، مكتبة دار الحياة، بيروت، لبنان.
- ابن حيان، أبو مروان القرطبي. تحقيق: الحجى، عبد الرحمن علي. 1965م. المقتبس في أخبار بلد الأندلس، بدون رقم الطبعة، دار الثقافة، بيروت، لبنان.
- ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد. 2005م. العبر وديوان المبتدأ والخبر في أخبار العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دون رقم الطبعة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.
- ابن عبد ربه، شهاب الدين أحمد الأندلسي. دت. العقد الفريد، مكتبة الهلال، بيروت، لبنان.
- ابن عذاري المراكشي، أبو عبد الله محمد بن محمد. تحقيق: كولان، ج. س. و بروفنسال، إ. ليفي. 1983م. البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج4، دار الثقافة، بيروت، لبنان.
- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي. 1990م. البداية والنهاية، بدون رقم الطبعة، مكتبة المعارف، بيروت، لبنان.
- أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل بن نور الدين علي بن جمال الدين محمود بن محمد بن عمر بن شاهنشاه بن أيوب. تصحيح: رينود، م. ؛ و ديسلان، ماك كوكين. 1850م. تقويم البلدان، الطبعة الأولى، دار الطباعة السلطانية، باريس، فرنسا، دار صادر، بيروت، لبنان.
- أمين، أحمد. 1992م. هارون الرشيد، بدون رقم الطبعة، بدون بيانات الناشر، القاهرة.
- بارتولد، فاسيلي فلاديميروفيتش. ترجمة: حداد، عزيز. مقدمة: فوزي، فاروق عمر. 1393هـ/1973م. دراسات في تاريخ فلسطين في العصور الوسطى، بدون رقم الطبعة، مركز الدراسات الفلسطينية، جامعة بغداد، بغداد.
- بدر، أحمد. 1983م. دراسات في تاريخ الأندلس وحضارتها، بدون رقم الطبعة، دار أطلس للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر.
- بروفنسال، إ. ليفي. 1988م. الجزء الخاص بالأندلس من الروض المعطار، بدون رقم الطبعة، دار الجيل، بيروت، لبنان.
- البكري، أبو عبيد الله بن عبد العزيز محمد. تحقيق: طلبة، جمال. دت. المسالك والممالك، ج2، بدون رقم الطبعة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- بيضون، إبراهيم. 1978م. الدولة العربية في أسبانيا، بدون رقم الطبعة، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان.
- جودة، صادق. 1997م. تاريخ المغرب والأندلس، بدون رقم الطبعة، بدون بيانات الناشر، عمان، الأردن.

حاتمة، محمد عبده. 2000م. الأندلس التاريخ والحضارة والمحنة دراسة شاملة، بدون رقم الطبعة، مطابع الدستور، عمان، الأردن.

حسن، إبراهيم حسن. د.ت. عبید الله المهدي، بدون رقم الطبعة، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، مصر.

حسن، إبراهيم حسن. 1964م. تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، بدون رقم الطبعة، دار النفائس، بيروت، لبنان.

حسن، الحاج حسين. 1991م. حضارة العرب، بدون رقم الطبعة، بدون بيانات الناشر، القاهرة، مصر.

الحَمِيدِي، أبو عبد الله محمد بن أبي نصر فتوح بن عبد الله بن فتوح بن حميد الأزدي الميورقي. 1966م. جذوة المقتبس في ذكر ولاية الأندلس، الدار المصرية للتأليف والنشر، القاهرة، مصر.

الجميري، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم. تحقيق: عباس، إحسان. د.ت. الروض المعطار في خبر الأقطار، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان.

الدوري، تقي الدين عارف. 1997م. تاريخ العرب المسلمين وحضارتهم في الأندلس دراسة في المصادر والتاريخ والحضارة والتأثير، بدون رقم الطبعة، منشورات جامعة ناصر، طرابلس، ليبيا.

دوزي، رينهرت. ترجمة: حبشي، حسن. 1994م. المسلمون في الأندلس، الجزء الثاني "أسبانيا الإسلامية"، بدون رقم الطبعة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر.

الرفاعي، أنور. 1417هـ/1997م. الإسلام في حضارته ونظمه الإدارية والسياسية والأدبية والعلمية والاجتماعية والاقتصادية والفنية، الطبعة الثالثة، دار الفكر، دمشق، سوريا، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان.

الزركلي، خير الدين. 1984م. الأعلام قاموس وتراجم، الطبعة الثانية، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان.

زيدان، أمين. 1992م. عبدالرحمن الناصر قصة تاريخية، بدون رقم الطبعة، دار المفيد، بيروت، لبنان.

سالم، السيد عبدالعزيز. 1971م. قرطبة حاضرة الخلافة الإسلامية في الأندلس، بدون رقم الطبعة، دار النهضة، بيروت، لبنان.

سالم، السيد عبدالعزيز. 1981م. تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس، بدون رقم الطبعة، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان.

السامرائي، خليل إبراهيم؛ وطه، عبدالواحد ذنون؛ ومصلوب، ناطق صالح. 2000م. تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، الطبعة الأولى، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان.

السلوي، أبو العباس أحمد بن خالد الناصري. د.ت. الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، بدون رقم الطبعة، بدون بيانات الناشر وبلد النشر.

السويدان، طارق. 1426هـ/2005م. الأندلس التاريخ المصور، الطبعة الأولى، مطابع المجموعة الدولية، الإبداع الفكري، الكويت.

شلبي، أحمد. 1969م. موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، بدون رقم الطبعة، مكتبة النهضة

المصرية، القاهرة، مصر.

الشوارة، فتحي يوسف خلف. 1999م. سياسة الخليفة المهدي الداخلية 158- 169هـ/775- 785م، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة مؤتة، الأردن.

الشوارة، فتحي يوسف خلف. 2008م. خلافة الواثق بالله 227- 237هـ، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة مؤتة، الأردن.

الشوارة، فتحي يوسف خلف. 2011م. تاريخ الدولة العباسية، بدون رقم الطبعة، دار النشر الدولي، الرياض، المملكة العربية السعودية.

الصالح، صبحي. 1987م. النظم الإسلامية نشأتها وتطورها، بدون رقم الطبعة، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان.
الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير. تحقيق: إبراهيم، محمد أبو الفضل. 1979م. تاريخ الرسل والملوك المعروف بـ "تاريخ الطبري"، بدون رقم الطبعة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

طقوش، محمد سهيل. 2005م. تاريخ الدولة العباسية، بدون رقم الطبعة، دار النفائس، بيروت، لبنان.

العبادي، أحمد مختار. د.ت. دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، بدون رقم الطبعة، دار النهضة، بيروت، لبنان.

عنان، محمد عبدالله. 1378هـ/1958م. دولة الإسلام في الأندلس، مطبعة مصر، القاهرة، مصر.

القاسمي، خالد محمد. 1998م. تاريخ الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، بدون رقم الطبعة، دار الثقافة، دمشق، سوريا.

لسان الدين بن الخطيب، السلماني. تحقيق: بروفنسال، إ. ليفي. 1956م. تاريخ أسبانيا الإسلامية أو "أعمال الأعلام فيمن بويغ قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، الطبعة الثانية، دار المكشوف، بيروت، لبنان.

الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد. 1969م. الأحكام السلطانية والولايات الدينية، دون رقم الطبعة، مكتبة مصطفى بابي الحلبي، القاهرة.

المقري، أحمد بن محمد التلمساني. تحقيق: عباس، إحسان. 1988م. نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج7، بدون رقم الطبعة، دار صادر، بيروت، لبنان.

مؤنس، حسين. 1996م. موسوعة تاريخ الأندلس، بدون رقم الطبعة، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر.

ناجي، عبدالجبار. 2001م. دراسات في تاريخ المدن العربية الإسلامية، بدون رقم الطبعة، شركة المطبوعات للنشر، بيروت، لبنان.

النباهي، أبو الحسن بن عبدالله بن الحسن الملقب الأندلسي. 1993م. تاريخ قضاة الأندلس "المراقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا"، بدون رقم الطبعة، المكتب التجاري للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.

وات، مونتغمري. ترجمة: المصري، محمد رضا. 1994م. في تاريخ أسبانيا الإسلامية، شركة المطبوعات، بيروت، لبنان.

وجدي، محمد فريد. د.ت. دائرة معارف القرن العشرون، المجلد الثالث، بدون رقم الطبعة، دار الفكر، بيروت، لبنان.

ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله بن عبد الله الرومي البغدادي. د.ت. معجم البلدان، بدون رقم الطبعة، دار صادر، بيروت، لبنان.

Buckler, F. W. 1931. Harun Al-Rashid and Charles the Great. The Mediaeval Academy of America. Cambridge, MA. p170.

Sourdel, D., Bosworth, C.E., and Lambton, A.K.S. 1986. Hājib. The Encyclopedia of Islam, New Edition, Volume III: H-Iram. BRILL, Leiden, and New York. pp. 45-49. ISBN 90-04-08118-6.

**Political Conditions in the Era of Abd Al-Rahman Al-Nasser
(300-350 H / 912-961 G)
Internal Policy and the Impact of Power Balance on His Foreign Relations**

Fathi Yusuf Shawawrah and Mohammad Saqr Dosari

Department of Social Studies, College of Arts,
King Faisal University

ABSTRACT

This research is about the internal policy of Abd al-Rahman al-Nasser (300-350 H / 912-961 G). Most work on the Caliphate personality and his reign was unspecific and brief. Thus, this work approaches his internal and foreign policies in detail. A study of the effect of internal power balance on his foreign relations during his reign of Andalusia from 300-350H /912-961G.

The study revealed that the Caliphate Al-Nasser was one of the greatest rulers of Andalusia in terms of intention, determination, and approach. It was evident that he had a balanced mix of intimidation and motivation in dealing with political and revolutionary opposition groups. This assists in eradication of such revolutions and provided peace and security that led to prosperity and construction of Cordoba and Alzaharaa cities.

Key Words: Abbasid, Abd Al-Rahman Al-Nasser, Andalusia, Cordoba, Ummayad,